الهجمة التنصيرية

على البلاد الإسلامية



دكتور

محمد بن ناصر الشثري

الهجمة التنصيرية

على

البلاد الإسلامية

د/ محمد بن ناصر الشثري

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشثري، محمد بن ناصر

الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية. / محمد بن ناصر الشثري

.- الرياض، ١٤٢٤ هـ

١٦٠ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٧ـ٦٦٦ـ١٠ـ٩٩٦٠

١ ـ التنصير أ. العنوان

ديوي ٢٧٥,٣٧ ٤٥٢٣ / ١٤٢٤

رقم الإيداع : ٤٥٢٣ / ١٤٢٤

ردمك : ٧ـ٦٦٦ـ١٠ـ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

دار الحبيب ص ب : ٨٥٣٠ الرياض ١١٤٩٢

هاتف + فاكس ٤٨٢٥٤٨٥

2003

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن النصارى يعتقدون معتقدات لا وجود لها في كتبهم ويتعبدون بشعائر وطقوس لا أثر لها في تلك الكتب، بل ولا يوجد لها مسوغ من عقل أو نقل.

ونحن نتحداهم بأن يشيروا إلى الكتب التي فيها أمر بالسجود للصور والتماثيل، وبتحويل القبلة من بيت المقدس إلى مشرق الشمس، وأن يدلونا على من فرض عليهم بدعة الأحد ومن الذي أبطل الختان؟ ومن الذي حرم عليهم تعدد الزوجات؟ وفي أي الكتب ذُكِرَ أن المسيح ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثالث ثلاثة، أو أنه منقسم إلى طبيعتين لاهوتية وناسوتية؟ وأي الكتب جعلت أوامر البابا كأوامر الله؟ ومن الذي أباح لهم لحم الخنزير والخمر؟ ومن الذي أعطاهم حق مغفرة الخطايا وإصدار صكوك الغفران والحرمان؟ ولماذا يمنعون الناس من تفسير كتبهم التي يزعمون أنها مقدسة؟ لعلهم يخشون

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

أن يكتشف الناس ما فيها من لغو وهذيان وظلمات فوق ظلمات.

إن علماء النصرانية يقرون بأن الأناجيل الأربعة المتداولة قد تم اختيارها من بين حوالي مائة إنجيل كانت منتشرة بين النصارى في القرن الرابع الميلادي.

ومن المعلوم - بالضرورة - أن عيسى عليه السلام قد أتى بإنجيل واحد. لكن تناقض تلك الأناجيل الأربعة المذكورة وانقطاع سندها وافتقارها إلى أبسط شروط التواتر بالإضافة إلى ركاكة ألفاظها وغموض معانيها كل ذلك يؤكد زيفها وتحريفها وأنها من غير شك غير مطابقة للإنجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام.

أركان النصرانية:

أركان النصرانية خمسة هي: التعميد والتثليث وأن الابن أقنوم التحم بمريم، ثم القربان المقدس، وأخيراً الاعتراف للقس.

والنصراني يكفيه أن يؤمن بهذه الأركان الخمسة ثم يفعل بعدها ما شاء؛ لأن الاعتراف للقس قد يكفل له بمغفرة الخطايا ودخول الملكوت الأعلى بغير حساب ولا عقاب.

والاعتراف للقس من أغرب طقوس هذه الديانة، فمصير كل نصراني متأرجح بين شفتي قس إن شاء حرر له صك غفران، أو يصدر في حقه قرار حرمان.

وقد ترتب على هذه المهزلة أن انتشرت (موضة) بيع الجنة بالصكوك، ووجد فيها البابوات سوقاً رائجاً للنصب على البسطاء والمغفلين.

فكفى للإسلام فخراً أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت، وإنما تتوقف رحمة الله ومغفرته على توبة

الإنسان توبة صادقة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[١].

إن تعاليم المسيح ضاعت لسوء استغلال الكنيسة لها، ولأنها احتكرت المسيح كما تحتكر أية شركة تجارية أي صنف من البضائع، وصار المسيح أسير الكنائس والأدهى من ذلك كله اعتقادهم بأن عيسى عليه السلام قد دخل جهنم ولا تفسير لذلك إلا أنهم يعيشون في ظلام وأوهام وصدق الله العظيم القائل: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ[٣]: **«أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ليس بيني وبينه نبي والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**[٤].

التنصير وأقسامه:

ولقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالمسيحية في العالم الإسلامي في القرون الأخيرة لتقتلع الإسلام من نفوس الناس وتحل المسيحية محله. وهذا يطلق عليه بعض النصارى «حملات

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٨ رقم ٣٤٤٣)، ومسلم (٤/ ١٨٣٧) رقم ٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) معاول الهدم والتدمير، سليمان الجبهان، ص ٥١، ٦٧، ٦٨.

التنصير» وهي تهدف إلى نقل المسلم من دين محمد إلى تعاليم المسيح؛ لأن الإسلام لما انتشر في العصور الوسطى أقام سدًّا في وجه النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجان المسيحية.

لقد علم النصارى أن الغزو المادي المسلح لبلاد المسلمين أمر ليس باليسير. علموا ذلك من بسالة الأبطال المسلمين الذين صمدوا أمام الحملات الصليبية إلى أن كتب الله عليها الجلاء.

ثم أرسل مدبرو الحرب الصليبية عيونهم إلى البلاد الإسلامية وبثوا جواسيسهم ليتحسسوا واقع المسلمين ويتخذوا لهم من داخل البلاد أعواناً، وقد ظفروا من ذلك بنصيب كبير تصيدوه من أهل الذمة ومن الطوائف والفرق المنحرفة.

وبناء عليه قرروا تحويل الحرب مع المسلمين من حرب سافرة مسلحة تعيد المسلم لدينه إلى حرب مقنعة يدخل في حسابها الغزو الفكري والنفسي والخلقي، حتى إذا تم للغازي الاحتلال الفكري والنفسي كانت ضحيته مركباً ذلولاً ومرتعاً سهلاً يفعل به ما يريد.

وانتهى المخططون إلى أن وضعوا لأنفسهم القاعدة التالية: «إذا أرهبك سلاح عدوك فأفسد فكره ينتحر به».

وهذا الغزو الفكري والخلقي الجديد قد اتخذ ثلاث صور هي:

أ ـ التبشير (التنصير).

ب ـ الاستشراق.

جـ ـ الاستعمار.

وسوف نخصص لكل منها باباً يشتمل على ثلاثة فصول:

١ ـ الفصل الأول: التعريف بكل حملة من الحملات الثلاثة.

٢ ـ الفصل الثاني: أهدافها ووسائل تحقيق تلك الأهداف.

٣ ـ الفصل الثالث: ميادين هذه الحملات التي ظهرت فيها، وأهم الآثار المترتبة عليها.

الباب الأول

التبشير

الفصل الأول

مفهوم التبشير

تعني دلالة كلمة تبشير في اللغة: الخبر الذي يفيد السرور، إلا أنها ـ بحسب الأصل اللغوي ـ عبارة عن: «الخبر الذي يؤثر في البشرة تغييراً، وهذا التغيير يكون للحزن أيضاً، كما يكون للسرور، فوجب أن يكون التبشير صالحاً في القسمين: أي في خبر السرور وخبر الأحزان، لكن غلب عليه الاستعمال في مجال السرور.

والتبشير عند المسيحيين يعني هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه المبشرون المسيحيون للتبشير فيها، خصوصاً بلاد الإسلام[(١)] .

ولقد لقي مصطلح التبشير اعتراضاً من أوساط إسلامية، وذلك لما فيه من ستر الحقيقة التي تختفي من ورائه، وهي إخراج الناس من دينهم وإدخالهم في النصرانية، كما أن فيه نوعاً من المدح للحركات التنصيرية، وفيه ـ كذلك ـ إيحاء نفسي بالخير والبشرى، الأمر الذي يدّعيه ـ كذباً ـ دعاة الحركات التنصيرية.

ولقد استعمل الحديث النبوي مصطلح التنصير في قوله ﷺ: **«ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»**[(٢)] . فالفطرة هنا هي الإسلام، والتنصير هو إدخال المولود في النصرانية، غير أننا استعملنا لفظ «التبشير» في هذا الكتاب، نظراً

---

(١) الغزو الفكري، علي عبدالحليم محمود، ص ١٣٧ .

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٥) في كتاب القدر.

لما أصبح له من شهرة علمية، وللتفرقة بين هذه الوسيلة وغيرها من الوسائل التي تخدم هدف التنصير كالاستشراق والاستعمار والغزو الفكري. وإن كنا نؤمن بأن مصطلح «التنصير» هو الأصدق علميًا، وهو الأعم الأشمل لكل هذه النشاطات المغرضة!!

الفصل الثاني
أهداف التبشير ووسائله

أ ـ أهداف التبشير:

إن الهدف الأساسي من مخططات التبشير بالنصرانية هو تحويل المسلمين ـ بصفة خاصة ـ عن دينهم ولو لم يعتنقوا النصرانية وتحولوا إلى الإلحاد والكفر.

لقد وجد المبشِّرون أن القيم الإسلامية تمثل الظواهر التطبيقية لمبادىء الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنها ـ بالتالي ـ من أكبر العوامل التي منحت المسلمين قوتهم، فأراد المبشرون أن يهدموا هذه القيم ليوهنوا قوتهم ويشتتوا شملهم، ويجعلوهم كيانات فارغة من العقيدة والقيم قابلة لكل غزو ثقافي أو عقدي.

وقد سعوا ـ أولاً ـ إلى ابتزاز أموال المسلمين وسلبهم خيراتهم، بما يصدِّرونه لهم من وسائل الترف والزينة وغيرها من الوسائل التي تسهل لهم سبلاً محرمة تمتص مختلف طاقاتهم الفكرية والجسدية والنفسية.

ثم عملوا ثانياً على تحويل مجرى التفكير في الوحدة الإسلامية؛ لأن وحدة المسلمين تعدّ أكبر خطر على الحركات التنصيرية.

وبذلك يصلون إلى تخريب ضمائر المسلمين وزعزعة عقيدتهم لصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد.

وإلى جانب ذلك، ثمة أهداف أخرى تعدّ خادمة للهدف الأساسي وهي تتلخص فيما يلي:

١ ـ الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، وهو ما يسمى في أوساط النصرانية بـ(حماية النصارى) من الإسلام!!

٢ ـ الحيلولة دون دخول بقية الناس في الإسلام، ومنع انتشار الإسلام، بإحلال النصرانية مكانه، أو على الأقل بالإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة[1] ، على أساس أن الإسلام هو وحده الدين المؤهل للقضاء على النصرانية، والذي يمتد على أرضها.

٣ ـ نشر بذور الاضطراب والشك في القيم الإنسانية؛ بحيث يزهد المسلم فيها وتموت غيرته وحميته للدفاع عنها، وبذلك يسهل التحكم في سلوكيات المجتمع، وتوجيه أفكاره وسلوكياته لصالح النصرانية.

٤ ـ الإغراء بالتعاليم النصرانية، ومحاولة إقناع الجماهير بفضلها وفاعليتها ومواءمتها لروح العصر، على أساس الزعم بأن لها صلة بالتفوق المدني والعلمي والأدبي، مع أن الحضارة الأوربية لم تتقدم إلا بتركها للنصرانية.

٥ ـ الإيحاء بأن تقدم الغربيين في العلوم المادية سببه تمسكهم بالنصرانية، وأن السبب في تأخر المسلمين المادي هو تمسكهم بالإسلام، مع أن تقدم الأوربيين حدث ـ كما ذكرنا ـ يوم وقع فصل الكنيسة عن العلم والدولة.

وسائل التبشير:

يمكن إجمال الوسائل التي تتحقق من خلالها أهداف التبشير في ثلاث وسائل كبيرة:

---

(١) د. علي النملة: التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله، وسبل مواجهته، ص ٤٥ وما بعدها، ط مكتبة التوبة، الرياض ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

أولاً: وسائل فكرية: وتشمل:

١ - **المدارس والمعاهد والجامعات المفتوحة للنصارى ولغيرهم،** وتتميز بمناهجها التنصيرية المباشرة وغير المباشرة، ويراعى في هذه المراكز العلمية الكفاءة النوعية في المدرسين والمقررات والكتب، وتكثيف الطابع الغربي النصراني بحيث يألفه الدارسون ولا ينكرونه، على أن تكون هذه الجامعات التنصيرية قريبة من مراكز القوة العلمية في المجتمع لتدميرها أو إضعاف نشاطها، كما بنيت الجامعة الأمريكية بالقاهرة حتى تكون قريبة من الأزهر.

٢ - **الوسائل الإعلامية مثل: الصحف والمجلات والمنشورات والأشرطة الصوتية والمرئية والإذاعات والقنوات الفضائية** والتي تتميز بالإغراء والجاذبية، مع سهولة شرائها وتناولها، بحيث تغزو البيوت والمحلات بسرعة هائلة، ويراعى في هذه الوسائل استغلال حاجة الناس - ولاسيما الشباب - إلى وسائل علمية رخيصة وسريعة الهضم، وفيها يوضع السم في الدسم.

٣ - **البعثات العلمية المتبادلة بين المجتمعات النصرانية وغيرها،** بحجة التخصص والدراسة الميدانية، حيث توفدهم الجامعات والجمعيات العلمية للدراسة في قضايا جغرافية وطبيعية واجتماعية، تحتاج إلى متابعة حقائقها وتطوراتها والإحصاءات طويلة المدى، مما يسمح بالمكث الطويل في البلاد والمراكز النصرانية والاحتكاك الكثير بين المنصرين والأخرين المراد تنصيرهم.

ويراعى في المبتعثين لتنصير المسلمين القدرة على التعايش في ظروف اجتماعية وطبيعية مختلفة، مع توافر الجاذبية الخاصة والأريحية المفتعلة التي تضمن اكتساب عناصر جديدة للنصرانية

تحت ستار الزمالة والصداقة والتعاون الفكري والعلمي!!

كما يراعى في المراد تنصيرهم ـ عبر هذه الوسيلة ـ أن يكونوا مهيئين ومستعدين نفسيًا للإصابة بهذا الفيروس السرطاني، والرجوع به إلى مجتمعاتهم، ليكونوا مزرعة محلية لانتشار الأفكار اللادينية والنصرانية حيث يتم تلميع هذه العناصر إعلاميًا، وتوضع في مواقع القيادة في مجتمعاتها[١] .

٤ ـ المناظرات العلمية والدينية والحضارية :

يعد المنصرون هذه المناظرات وسيلة فعَّالة ذات تأثير حيّ في قطاع المثقفين، حتى وإن لم تكن نتائج هذه المناظرات لصالحهم؛ لأنهم يعدونها فرصة لإثارة الشكوك حول المسلمات والثوابت العلمية والدينية والحضارية، الأمر الذي يضعف الثقة فيها لدى العوام وأنصاف المثقفين، فيسهل غزوهم فكريًا وحضاريًا، ويجعلهم يهتمون بالبحث في عقائد النصارى وثقافتهم من خلال كتبهم الخاصة بحجة الموضوعية والحياد العلمي[٢] .

٥ ـ الدراسات الاستشراقية :

وهذه الوسيلة ظاهرة جديرة بالدراسة المستقلة، وهو الأمر الذي حاولنا تقديمه في صفحات تالية، ولكن ـ مع ذلك ـ لابد من إثباتها هنا كإحدى الوسائل الفكرية للتنصير، بل إنها لتعد من أخطر الوسائل على العالم الإسلامي ـ حيث كان المستشرقون جنوداً ـ يحاربون بنوع من العقلانية والعلمية الظاهرة مخلصين للكنيسة، كما

---

(١) د. علي النملة: التنصير ص ٦٧ ـ ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٨٠.

(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ترجمة لأعمال المؤتمر لسنة ١٩٧٨ للتبشير بولاية كالورادو الأمريكية، ص ٧٦٨.

كانت الكنيسة مصدر رزق وفير لعملائها، من هؤلاء المستشرقين المتلفعين برداء العلم، كما أن الكنيسة كانت مصدر اضطهاد وتنكيل لمن يبحث عن الحقيقة المجردة ـ بمنهجية موضوعية ـ دون تعصب للكنيسة أو تطويع للحقائق[١] .

٦ ـ الاشتراك في وضع المناهج التعليمية في بلاد المسلمين، وهذه وسيلة خفية لا يتنبه إليها الكثيرون، حيث يركز واضعوا هذه المناهج على فروع من العلوم النظرية والترفيهية التي تزاحم ـ بشدة ـ العلوم التطبيقية الجادة، مما يربي جيلاً مترفاً مستهلكاً لا يستطيع النهوض بمجتمعه أو العمل على تغيير واقعه البئيس.

هذا بالإضافة إلى ما يطعّمون به هذه المناهج من أخطاء و تجاوزات عقائدية وتاريخية واجتماعية وحضارية، كفيلة بتغريب المجتمع وفرض التطبيع الثقافي والاقتصادي مع الذين كانت ـ ولاتزال ـ بيننا وبينهم كثير من الإحن والعداوات والحروب الظاهرة والخفية[٢] .

وقد يجاهد بعض أبناء المسلمين لتحصيل العلوم التي تتفق وميوله الفطرية وقدراتها وملكاتها، وقد ينجح ويتخصص في المجالات العلمية النادرة، لكن جهود التبشير كثيراً ما تنجح في حجبه عن مراكز التعليم والإدارة والإنتاج، بغية قتل ما حصله من علم خلال سنين عديدة، فتوجهه إلى أعمال يستطيع القيام بها أقل الذين

(١) د. علي النملة: التنصير، ٨٢، ٨٣.

(٢) د. سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ١٨١ ط دار الأرقم بالزقازيق، مصر، الأستاذ علي لبن: الغزو الفكري في المناهج الدراسية (عدة كتب) طبع دار الوفاء بالمنصورة، مصر.

يحسنون القراءة والكتابة؛ لكي تبعده عما ينفع أمته الإسلامية، فإن لم تفلح هذه الجهود أغرته بالهجرة إلى الدول الأجنبية والعمل لديها بمرتبات مغرية؛ كي تستثمر اختصاصه وتضيفه إلى ثروتها العلمية، وتحرم أمته الإسلامية منه.

وحقيقة كان للتنصير خطة محكمة لحرمان المسلمين من العلوم العملية وحجبها عنهم بأشكال متنوعة ووسائل شتى نذكر منها ما يأتي:

١ ـ شغل أبناء المسلمين بالعلوم النظرية البعيدة عن المبتكرات الحديثة.
٢ ـ شغل أبناء المسلمين بالفلسفات الفكرية المتناقضة لقتل طاقاتهم العقلية.
٣ ـ شغلهم بالتفاهات التعبيرية التي يسمونها (أدب) دون أن يكون لها ثمرة تربوية.
٤ ـ إدخال فنون التمثيل والرقص والغناء والتصوير والنحت في قائمة العلوم التي يتوقف عليها ارتقاء الأمم؛ وذلك لصرف الطاقة الإسلامية عن العلوم النافعة.

٧ ـ البث الإذاعي والتلفزيوني:

للإعلام في حياة الناس قوة هائلة، والبث الإذاعي ـ كما لا يخفى ـ عظيم الفعالية، وواسع الانتشار، الأمر الذي جعل المنصرين يركزون على هذه الوسيلة في غزو قلوب الناس وعقولهم، فنراهم يبثون سمومهم عبر إذاعات الغرب التنصيرية بشتى لغات العالم ولهجاته المتباينة، على مدى أكثر من ألف ساعة أسبوعيًا.

ومن جديد ما جاءت به الأنباء عن وسائل التنصير الإعلامية ذلك المشروع الضخم المسمى (مشروع لومين ٢٠٠٠)، الذي وافق الفاتيكان على تبنيه في عام ١٩٨٨م وهو يهدف إلى إقامة أكبر محطة

تلفزيونية للتبشير بتعاليم الإنجيل إلى بقاع العالم، ولاسيما إفريقيا وآسيا، حيث الكثافة السكانية الإسلامية العالية، ويعتمد المشروع في أدائه على ثلاثة أقمار صناعية كبيرة للبث التلفزيوني المباشر[١].

وجدير بالذكر أن «راديو الفاتيكان» يرسل تعاليمه التنصيرية بخمس وثلاثين لغة عالمية ومحلية.

ثانياً: البعثات الطبية و الإغاثة الإنسانية:

لقد رأى المبشرون ضرورة استغلال مهنة الطب وجعلها معيناً على التنصير؛ فأسسوا العديد من مراكز التطبيب، والتي بدأت كمراكز لعلاج المرض، ثم ما لبثت أن أفصحت عن وجهها الحقيقي كمراكز للتبشير، فقلت أعمال التطبيب إلا من الأدوية العادية حتى أصبحت في النهاية مراكز مهجورة لا تعمل إلا للتبشير المحض.

وقد كان الأطباء المبشرون لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح، وكانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المريض ويسأل المسيح الشفاء.

إن أكثر الأطباء البروتستانت الذين جاءوا إلى بلاد العرب والشرق الإسلامي لم يأتوا لأداء رسالة إنسانية في معالجة المرضى، بل جاءوا للتبشير بالمسيحية.

ولم تفت المبشرين أهمية دور المرأة المسلمة فأرسلوا إليها طبيبات مبشرات للاتصال بالنساء مباشرة لبث الفكر النصراني من جانب ولتحديد النسل من جانب آخر هذا فضلاً عن تشغيل الراهبات في مهنة التمريض[٢].

---

(١) مجلة المنهل، العدد ٥٣٥، مقال المنصرون قادمون.

(٢) د. النملة، التنصير ص ٦٩.

إن الهجمة التنصيرية الجديدة عرفت كيف تستثمر الضعف البشري جيداً. فأغلبية دول العالم الفقيرة هم من المسلمين في قارتي آسيا وإفريقيا.

والفقر - كما هو معلوم - حليف للمرض، والفقراء كثيراً ما يمرضون بسبب فقرهم، كما يزيد فقر المرضى حينما يمرضون، وهكذا يعيشون في حلقة مفرغة لا نهاية لها، إلا أن يشاء الله شيئاً، وفي هذه الظروف الصعبة تكون فرصة المنصرين السانحة، فحيثما كان المرضى والجائعون والمستضعفون واللاجئون المحرومون، ظهر المنصرون المنقذون يغدقون الأموال، ويفيضون العطاء، مهموراً بشارة الصليب، مصحوباً بالإقرار بربوبية المسيح !!

لقد أتقنوا اللعبة أيما إتقان، وتفننوا في تجويدها، ونجحوا - ويا للأسف- في تحويل أعداد كبيرة من المستضعفين عن دينهم، تحت ضغط الحاجة الاقتصادية، والضغوط الصحية.[١]

ثالثاً: التنمية والإصلاح الاجتماعي:

جاء المبشرون إلى الشرق الإسلامي ومعهم أفكارهم عن بعض القضايا الإنسانية والاجتماعية، فأرادوا أن ينقلوها إلى المسلمين، وفاتهم أن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل هو عقيدة ونظام اجتماعي، فكل ما زعم المبشرون وجوده في المسيحية وتاجروا به يوجد في الإسلام بشكل أتم وأحسن، ومع أن المبشرين رفعوا شعارات ضخمة

(١) مجلة المنهل، عدد ٥٣٥، مقال: المنصرون قادمون.

مثل: (الرفق بالحيوان) و(إنصاف العمال) و(الطفل للمدرسة لا للعمل).

كل هذه الشعارات لم يكن هدفها الإصلاح الاجتماعي بل قصد بها المبشرون استمالة القلوب المسلمة؛ بحيث يسهل عليهم التسلل إلى الجماعات المسلمة بمبادىء التنصير.

وقد رسم المبشرون خطة محكمة ترمي إلى حل التماسك الاجتماعي وفك الترابط الأسري بين أفراد الأمة الواحدة؛ حتى لا تكون لها شخصية موحدة قوية.

وحيث إن الشخصية الاجتماعية تلتقي على وحدات أربع هي:

الوحدة الفكرية والاعتقادية والسلوكية والعاطفية ـ فإن هذه الوحدات الأربع كانت المرمى الذي يسدد إليه الأعداء سهامهم، فيعملون على تفتيتها وإحداث التناقض بينها.

فأرادوا أن يضعوا بدل الوحدة الفكرية عند المسلمين أشتاتاً وأخلاطاً فكرية متضادة، كما أرادوا أن يتلاعبوا بمناهج البحث السليمة عند المسلمين، وهي المناهج التي أرشدهم الله إليها بالوحي، وقد جذبوهم إلى مناهج قصيرة النظر تقف عند حدود الظاهر المادي فقط ولا تتعداه إلى الحقائق الكامنة وراءها.

وقد أرادوا أن يضعوا بدل وحدة الاعتقاد المهيمنة على قلوب المسلمين ـ اتجاهات وجودية إلحادية تعمل على تحويل الإنسان إلى مخلوق أناني متوحش يستخدم كل ذكائه لإشباع رغباته المادية والمصلحية الأنانية المتوحشة.

وأرادوا أن يضعوا محل الوحدة العاطفية المستندة على أساس ديني متين راسخ يحرك المسلمين بقوة هائلة أشتاتاً عاطفية متناقضة

تأخذ شكلاً إقليميًا وشكلاً طبقيًا تارة، وشكل مصلحة مادية تارة أخرى.

أما أخلاق الشعوب الإسلامية فقد اكتشف المبشرون طريقتين للوصول إلى إفسادها والهبوط بها من قمة الكمال الإنساني إلى حضيض النقص والرذيلة.

الطريقة الأولى: العبث بالمفاهيم الخلقية وتشويهها بالنظريات الجنسية والرخيصة.

الطريقة الثانية: عن طريق الفنون والآداب والإعلام. أما العبث بالمفاهيم الخلقية؛ فتتضح أبعاده فيما قام به المبشرون من حشد النظريات الفلسفية المنحرفة عن الشرائع الربانية.

فمن نظرياتهم ما يعتمد على تمجيد اللذة الفردية وإباحة كل ما يحققها مهما أضر ذلك بصحة الفرد أو عقله أو مجتمعه أو خالف أوامر الله.

ومنها النظريات التي تمجد قوة الجماعة فتمثلها دولة سياسية.

ومنها الضلالات التي تدس بين الشعوب المسلمة بأن الأخلاق أمر اعتباري نسبي تمليه المصلحة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويضربون لذلك أمثلة من المجتمعات البدائية فيقولون: إن بعض القبائل تأكل موتاها بدافع اقتصادي. وبعض الشعوب لا ترى في العري والزنا بأساً.

فيستدل السامع من الأمثلة على أن الأخلاق أمر اعتباري تتواضع عليه الشعوب.

ولقد كان على المبشر صاحب هذه الضلالات أن يكون منسجماً مع نفسه فيقول: إن التقدم المدني ليس له صورة ثابتة أيضاً،

فاستخدام السكاكين تم بدلاً منه استخدام الأسلحة في القتال ونحوها من صور التطور التي ابتدعتها المدنية الحديثة.

وهكذا الأخلاق يجب أن توضع على قدم المساواة مع تطور الوسائل!!

وبهذا القياس الفاسد ينشرون التحلل وسط الناس.

وأما الإغراء بالمفاسد الخلقية فهو من أقوى الوسائل في نشر الإفساد العملي؛ فالإنسان بطبيعته قابل للتكييف والتأثر بالبيئة الاجتماعية، فلو وضعنا تقيًّا نقيًّا غير معصوم في بيئة اجتماعية معظم من فيها فاسدون فإن هذا التقي يحاول تدريجياً التقارب معهم، وقد عرفت كتائب المبشرين هذه الطبيعة النفسية عن الإنسان، فوضعت لها منهاجاً علميًّا فاستخدم المبشرون الدراسة والعمل لإفساد الأجيال في ذلك العناصر التالية:

أ ـ عنصر المال:

وهو عنصر فعال استطاع المبشرون أن يستخدموه على نطاق واسع لإفساد أخلاق المسلمين، فاشتروا بالمال أصحاب النفوس الضعيفة، وأخذوا يوجهونها كما يريدون، وعملوا على نشر الرشوة والتشجيع على اختلاس الأموال العامة، ودعم الاحتكارات المحرمة، والتغاضي عن الغش، وتهريب المحظورات الدولية.

ب ـ استخدام عنصر النساء:

ويستخدم المبشرون هذا العنصر للاستيلاء على أصحاب النفوس الضعيفة، خاصة الشباب فيسخرونهم بعد ذلك لترسيخ قواعد التبشير الأخلاقية المادية والمعنوية داخل البلاد.

أضف إلى هذين العنصرين عنصر الخمر والمخدرات، فضلاً

عن أنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة واللذة وعدم المبالاة إلا بما يمتص طاقات الفكر والجسد من متعة ولذة ولهو.

وقد نصح المبشرون أعوانهم على السير في الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية:

١ ـ إيجاد بيوت للطلبة والطالبات وإنشاء جمعيات للشبان والشابات.

٢ ـ إيجاد الأندية والتشجيع على الاختلاط.

٣ ـ الاعتناء بالتعليم الرياضي مع الترفيه.

٤ ـ جلب النساء الأجنبيات اللائي يعملن في مجال التبشير ليتصلن بالنساء المسلمات.

٥ ـ تشجيع الشبان المسلمين على الزواج بالأجنبيات، مستغلين رخصة الإسلام في إباحة زواج المسلم بالكتابية. والمعلوم أن مثل هذا الزواج يسلب البيت الإسلامي الجو الروحاني المسلم، ويضفي على البيئة الطابع الأجنبي، خصوصاً اللغة الأجنبية التي تتكلم بها الزوجة، فيتعلم الصغار من الأم اللغة الأجنبية وتضيع اللغة العربية وهي لغة القرآن.

٦ ـ إنشاء المكتبات التبشيرية لبيع الكتب الداعية للتنصير ولتوزع في الخفاء النشرات التبشيرية.

٧ ـ استغلال الصحافة بشكل واسع لتخدم أهداف التبشير؛ لأن المبشرين رأوا المسلمين لهم شغف بقراءة الصحف.

٨ ـ التغلغل في المجتمعات الصناعية الإسلامية فيخالط المبشرون عمال المصانع المسلمين، ثم يسيطرون على الأوساط الصناعية الإسلامية بروح نصرانية ويبقون فيهم أفكاراً نصرانية أهمها:

أ ـ إيهام المجتمعات التي ينزلون بها أن التقدم العلمي والصناعي أساسه مسيحي، متجاهلين بذلك دور العلماء المسلمين الأوائل أصحاب الفضل على النهضة الأوربية، ومتجاهلين ـ كذلك ـ أن النهضة العلمية في أوربا قامت على أساس الحرب على الكنيسة وإعلان التنوير الإلحادي بسبب موقف الكنيسة المحارب للعلم والعلماء.

ب ـ العمل على إقناع المسلمين أن الاختراعات الحديثة والاكتشافات العلمية يرجع الفضل فيها إلى المسيحية وهو ـ بالطبع ـ زعم كاذب، فما تقدمت أوربا إلا يوم حاربت الكنيسة، وقال ثوارها: «اشنقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس»!

بينما الأمر بالعكس في الإسلام؛ فما تخلف المسلمون إلا يوم تركوا دينهم الذي يتعبدهم بطلب العلم ويجعل التفكير فريضة وعبادة!!

٩ ـ إسهام الجمعيات التنصيرية في مجالات التنمية تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمعات).

وقد أنشئت لهذه الغاية لجان مثل (هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية)، وتعمل هذه الهيئة في حقول التنمية المتنوعة، مثل إقامة القرى الزراعية، وعقد الدورات التدريبية المهنية، وتقديم القروض المباشرة إلى الفلاحين، ومشروعات التهجير الداخلي للسكان... إلى غير ذلك.

ومن خلال هذه الإسهامات تسعى هذه الهيئات وهذه الجمعيات لتحقيق أهدافها التنصيرية، وتضع هذه الهيئات شعارات

تفيد أن الكنيسة تسعى إلى رخاء المجتمعات وإخراجها من أسر التخلف والجهل. . وأن التصدي لهذه الجمعيات التنصيرية سيكون سبباً لتخلي الكنيسة عن تقديم هذه الإسهامات في مجالات التنمية بمشروعاتها المختلفة[١] .

وهذا السلوك يؤدي إلى تكريس الهيمنة الكنسية، بل إنه يؤدي في نهاية الأمر إلى شيوع الفقر الذي نجحت وسائل الاستعمار ـ ولا زالت ـ في فرضه بطرق مختلفة على العالم الثالث!!

(١) د. علي النملة: التنصير، ص ٩٢، ٩٣ بتصرف.

الفصل الثالث

ميادين التبشير وآثاره

قام المبشرون على اختلاف نزعاتهم الدينية وتعدد مذاهبهم وجمعياتهم التبشيرية برسم خريطة للعالم الإسلامي رسماً دقيقاً تتناول جميع الجوانب البشرية وغير البشرية، وأعدوا للعالم الإسلامي في خطتهم للإغارة عليه حشداً عظيماً من إرساليات التبشير، وقد عزموا على أن يتناسوا الخلافات المذهبية والعقدية فيما بينهم، وذلك بغرض جمع طاقاتهم لمحاربة الإسلام وهدم دعائمه، وتحويل المسلمين عن تعاليم الإسلام، وإيقاف امتداده الطبيعي.

إن الاهتمام الأوربي بالإرساليات التبشيرية وصل ذروته إلى الحد الذي جعل النصارى ينشئون كليات تكون قواعد لتخريج المبشرين بعد تعليمهم أصول التبشير ووسائله، ثم يرسلون هذه الإرساليات إلى الهند والجزائر وجاوة، وغيرها... وقد نجحت هذه الإرساليات نجاحاً باهراً في ظل غيبة المسلمين، وتحت ضغط الحاجة، لذلك أخذت تنمو وتزداد وتفرعت منها أقسام نسائية، وزاد شغف أوربا بأعمال التبشير الهادفة إلى إخراج المسلمين عن دينهم.

وامتداداً لهذا المخطط تأسست أيضاً إرساليات تبشيرية طبية على سبيل التجربة، وتوافد المبشرون على إفريقيا وآسيا فاقتسموا مناطقهما على اختلاف جنسياتهم، وقد انتشرت إرساليات هؤلاء بدون انقطاع، من شرقي إفريقيا إلى أوساطها حتى الخرطوم والحبشة.

التبشير في إفريقيا:

وباستثناء الدول العربية في أفريقيا، فإن الدول غير العربية ذات الأغلبية الإسلامية في إفريقيا[1] أهمها:

تشاد (٨٥٪) وداهومي (٦٠٪)، وأثيوبيا (٦٥٪)، وجامبيا (٨٥٪)، وغينيا (٩٥٪)، وغينيا بيساو (٧٠٪)، وساحل العاجل (٥٥٪)، ومالي (٩٠٪)، والنيجر (٩١٪)، ونيجيريا (٧٥٪)، والسنغال (٩٥٪)، وسيراليون (٦٥٪)، والصومال (١٠٠٪)، وتنزانيا (٦٥٪)، وتوجو (٥٥٪)، وفولتا العليا (٥٦٪)، وأريتريا (٨٥٪)، وجزر القمر (٩٥٪)، وتصل نسبة المسلمين في القارة بعامة نحو (٦٠٪)، ويقترب عدد سكان القارة من ثلاثمائة مليون، من بينهم نحو (١٩٠ مليون مسلم)!!

والأقليات الإفريقية الإسلامية تصل في بعض البلدان الإفريقية إلى أكثر من (٣٠٪) من السكان، كما هو الحال في كينيا وأوغندة ومالاوي والجابون وغانا وغينيا الاستوائية وليبيريا!!

بينما تبلغ النسبة أكثر من (٢٥٪) في موزمبيق وملاغاش وبورندي، مع ملاحظة أن عدد الدول الإفريقية ذات الأقليات الإسلامية هي (٢٩) دولة.

وتعد الأقليات الإسلامية في الشرق الإفريقي أكبر الأقليات، ويبلغ عددها أكثر من ١٨ مليوناً ونسبتها حوالي (٦٠٪) من الأقليات الإسلامية في إفريقية، وهي موزعة على خمس دول: (كينيا، أوغندة، موزمبيق، ملاوي، مالاغاش)

---

(١) انظر: اسماعيل ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، جـ٢ ص ١٠، ٢٨٣ طبع دار المريخ بالرياض ١٩٩٣م، وأطلس العالم الإسلامي.

أما في وسط أفريقيا فيبلغ عدد المسلمين نحو ٥ر٤ مليون مسلم وهو يعادل (٥ر١٢٪) من مجموع الأقليات المسلمة في إفريقية، وهي موزعة على أربع دول وهي (الكونغو، رواندا، بورندي، زائير).

وفي غرب إفريقية يبلغ عدد المسلمين نحو (٦ر٥) مليون مسلم، وهو ما يعادل نحو (٢٠٪) من مجموع أقليات إفريقية المسلمة، وهم موزعون في (غانا، ليبيريا، الجابون، غينيا الاستوائية).

أما في جنوب إفريقيا فيعتبر عدد المسلمين قليلاً جداً، ونسبتهم إلى السكان لا تزيد عن (٥٪) وهم في حدود ٨ر١ مليون مسلم[١] .

وتنتشر بين السكان في إفريقيا جنوب خط الاستواء تنتشر بينهم (٣٥٠ لغة) يطلق عليها (البانتو) وهي تشكل أسرة لغوية واحدة.

وكلمة (البانتو) معناها الناس، ومن أشهر لغات البانتو (لينجالا) وهي اللغة الرئيسية في زائير الآن، وبدأت زائير في اعتبارها لغة رسمية، ويتكلمها أصلاً عدة ملايين من السكان.

وفي غرب إفريقيا تتعدد اللغات ومن أشهرها (اليوروبا) لغة سكان جنوب غرب نيجيريا ويتكلمها نحو ١٥ مليون نسمة، ولغة (الإيبو) في جنوب شرقي نيجيريا ويتكلمها نحو ٩ ملايين نسمة، وهناك (الماندي) بلهجاتها المختلفة من البمبارا والديولا المعروفة في غينيا وما جاورها والولوف في السنغال، والفولاني التي تنتشر من

(١) انظر التاريخ الإسلامي، الأقليات الإسلامية، محمود شاكر، طبع المكتب الإسلامي، ط ١ ص ٢١٥ وما بعدها.

السنغال إلى شمال نيجيريا، غير أن أكثر اللغات انتشاراً في غرب إفريقية بحيث أصبحت لغة تفاهم مشترك هي لغة الهوسا[١] .

(والهوسا) اسم لغة قبل أن تكون اسم قبيلة أو جماعة معينة، ثم أصبحت بعد ذلك علماً على معظم سكان شمال نيجيريا وما جاورها من النيجر.

والهوسا من أهم لغات غرب إفريقية بعامة، فهي اللغة الأم لما يتراوح بين ١٥، ٢٠ مليون نسمة، بالإضافة إلى ١٥ مليوناً آخرين ليسوا من الهوسا، ومع ذلك يتكلمونها رغبة من الإدارة الاستعمارية في تنميتها كلغة تفاهم مشترك لكل الإقليم الشمالي من نيجيريا.

أما في شرق إفريقية فهناك العديد من اللغات (كالأنكولي والسوكوما والبمبا والتونجا) غير أن السواحلية هي لغة التفاهم المشترك.

وتعتبر اللغة السواحلية إحدى اللغات الرئيسية في العالم وفي إفريقيا من باب أولى، وهي إحدى اللغات المليونية، واللفظ السواحيلي مشتق من اللفظ العربي: السواحل جمع ساحل، ومعناها هنا سكان السواحل، ويقصد هنا السواحل الشرقية لإفريقية، ويستخدم اللفظ عامة لكل سكان هذه السواحل، وهم خليط من الإفريقيين والعرب والإيرانيين[٢] .

وتعتبر اللغة العربية هي اللغة الإفريقية الأكبر حيث تغطي كل أفريقيا الشمالية وشمال شرق، ومساحة ضخمة من الصحراء الكبرى

---

(١) د. محمد عبدالغني سعودي: قضايا إفريقية: نشر الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤، سنة ١٩٨٠ ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) د. محمد عبدالغني سعودي، المرجع السابق ١٤٣.

حتى إقليم السفانا، وتصل إلى منحنى نهر النيجر وإلى نهر السنغال، ويتكلمها ما يزيد على مائة وعشرين مليون نسمة، أو نحو ثلث سكان القارة الإفريقية(١) .

ومهما يكن الأمر فإن إفريقية تعتبر من الناحية اللغوية من أشد المناطق صعوبة وتعقيداً في العالم. ويقدر عدد اللغات في إفريقية عادة بثمانمائة لغة، بينما تقدرها خريطة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن بنحو ١٥٥٠ لغة، فضلاً عن اللغات الأوربية، غير أننا إذا ذكرنا أن هناك ألف لغة أو أكثر جنوب الصحراء فليس معنى هذا أن هناك ألف جزيرة لغوية كل منها منعزل عن الآخر، وأن أفراد هذه الجزر لا يستطيعون الاتصال ببعضهم.

وتبذل القوى الصليبية كل جهدها لمنع الإسلام من الانتشار، بل إنها لتحاول اختراق المسلمين الأفارقة!!

والحقيقة أن هناك خطراً كبيراً يواجه مسلمي إفريقية جميعاً، إنه خطر القوافل التنصيرية التي تدعمها الفاتيكان وأمريكا وأوروبا وغيرها.

وفي إفريقية تصدر وترد عشرات من الصحف التبشيرية تُباع بثمن رمزي، وتُهدى في أغلب الأحايين لمن يظن فيهم ضعف الإيمان من المسلمين بغية تنصيرهم أو تشكيكهم في الإسلام.

وقد نشرت المجلة التبشيرية الألمانية أن عدد جيش المبشرين البروتستانت وحدهم هو ١٠٤ آلاف مبشر في العالم.

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعي الإنجيل المشاركين في

---

(١) د. محمد سعودي، مرجع سابق، ص ١٥٠.

التبشير عدداً ما يقترب من ٩٣٫٠٠٠، وعدد المعاهد الكنسية ١٧٫٦٧١ معهداً ابتدائيًّا ومتوسطاً وثانويًّا.

ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال موزعة في أنحاء العالم، وتفوز إفريقيا منها بقدر لا بأس به!! كما يخضع لسلطتهم ٤٨٩ مدرسة لاهوتية متخصصة في تخريج المبشرين[١].

والغريب في وضع التبشير في إفريقيا أنه قد لجأ في آخر تطوراته إلى أسلوبين:

ـ أسلوب التعاون مع الوثنيات الموجودة في القارة، حتى يتمكن في المرحلة الأولى من التخلص من الإسلام وهو المنافس القوي.

ـ والأسلوب الثاني هو أسلوب التعاون مع اليهود، وهو تعاون سعى إليه الطرفان معاً، سعت إليه إسرائيل، وسعى إليه التبشير، انطلاقاً من وحدة الهدف[٢].

ومع أن بين النصرانية واليهودية حرباً تاريخية لم تهدأ إلا أخيراً، فإن المبشرين واليهود يتحدون ـ مرحليًّا واستراتيجيًّا ـ ضد الإسلام الذي يوشك أن ينتظم القارة الإفريقية كلها، ولئن كان التبشير النصراني في إفريقيا يشكل جزءاً من ملاح الصورة القاتمة التي تعكر صفو «الإسلام في إفريقيا اليوم» فإن اليهود يشكلون بعداً آخر من أبعاد الجزء القاتم في الصورة.

---

(١) كامل الشريف: المغامرة الإسرائيلية في إفريقية ٩٠.

(٢) المرجع السابق، وانظر: عبدالحليم عويس: المسلمون في معركة البقاء ص ٤١، نشر القاهرة سنة ١٩٧٩م.

فبعد استقلال كثير من الدول الإفريقية، ذهبت إسرائيل تعرض خبرة اليهود في العالم وأموالهم لمساعدة هذه الدول.

واليهود عن طريق العلاقات السياسية والتجارية واستغلال الإعلام والدبلوماسية المرنة يحققون أغراضهم في كسب بعض الحكام الأفارقة، لدرجة أن جريدة نيجيرية كتبت بتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٦٢م تقول: بأن أية دولة في الشرق أو إفريقية لا تستطيع مساعدة نيجيريا ما عدا إسرائيل.

وثمة تعاون قائم بين إسرائيل وبعض الحكام الأفارقة ـ إن لم يكن بشكل سافر سياسي أو إعلامي أو عسكري أو ثقافي ـ فهو بشكل سري، وبخاصة في المجالات التجارية والثقافية.

وجدير بالذكر أنه توجد في إفريقيا جامعات وطنية كثيرة حريصة على الإسلام، ففي نيجيريا يوجد أكبر عدد من الجامعات في الدول الإفريقية جنوب الصحراء، ولا غرو في ذلك فإنها أكبر بلد إفريقي، وأكبر بلد إسلامي في أفريقيا، ومن أهم الجامعات النيجيرية المهتمة بالدراسات الإسلامية والعربية:

ـ جامعة أحمد وبيلو (نيجيريا)، وجامعة بايرو (وبها معهد للدراسات العربية والإسلامية)، وجامعة سكتو (وبها مركز للدراسات الإسلامية)، وجامعة مايدغري، وجامعة آبادان، وجامعة الورى، ويوجد في السنغال (جامعة داكار) وبها معهد إسلامي، وفي النيجر توجد الجامعة الإسلامية الحديثة، وجامعة نيامي وغيرهما، وتوجد في تشاد (جامعة تشاد) وبها قسم اللغة العربية والعلوم الإنسانية.

كما توجد في تشاد جامعة الملك فيصل، وتوجد في الصومال

(جامعة الصومال) التي تضم كلية للشريعة الإسلامية، كما توجد مدرسة الدراسات الإسلامية بجامعة الصومال أيضاً، وفي أوغندا توجد (الجامعة الإسلامية) بكمبالا، وفي غينيا يوجد المعهد التكميلي للدراسات العربية والإسلامية بكوناكري (معهد التكنولوجيا) وجامعة تمبكتو في مالي.

وفي جنوب إفريقية يوجد المعهد الإسلامي الشرقي، وهو أقدم معهد تعليمي في (دربن).

ويعتبر التعليم الاستعماري وما أفرزه من أفكار وسلوكيات هو ـ بحق ـ أول مظهر من مظاهر أزمة التعليم في إفريقية، وهو واحد من أبرز المشكلات التي تواجه الجامعات الإسلامية الإفريقية.

والمشكلة الثانية التي تواجه التعليم الجامعي في إفريقية هي مشكلة (اللغة) وقد بسطنا فيها القول من قبل، لكن الجدير بالذكر هنا أن مشكلة اللغة تفرض ظلالها على الجامعات الإفريقية في داخل العملية التعليمية نفسها، وتحول دون أن تؤدي الجامعات الإفريقية دورها الحضاري السليم في خدمة البيئة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والاستقلال الثقافي.

ويمتد التنصير وسط المحيط الإفريقي كله وفي بلاد المغرب العربي فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم (جمعية تبشير شمال إفريقيا) وهم منتشرون في المغرب والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب.

وفي ليبيريا المسلمة، ما لا يقل عن خمسمائة منظمة تنصيرية تعمل بكل قواها على تنصير أهل هذا البلد الإفريقي.

وفي تقارير جاءت من دولة ملاوي، أنه حدث انخفاض في نسبة المسلمين بسبب حملات التنصير النشطة في تلك البلاد.

وفي السودان يفتعل الغرب الصليبي أزمة الجنوب، ونسمع زعيم التمرد (جون جارانج) يقول: (إن السودان هو بوابة الإسلام والعروبة إلى إفريقيا، وإذن فلتكن مهمتنا الاحتفاظ بمفتاح هذا الباب، حتى لا يقوم للإسلام قائمة في جنوب الصحراء الكبرى).

* * *

والحق أننا نشهد في السنوات الأخيرة جهوداً جبارة تقوم بها المنظمات التنصيرية، ومجلس الكنائس العالمي لتنصير الأفارقة، مما أدى بالفعل إلى زيادة حالات الارتداد إلى المسيحية.

ولأجل تحقيق المزيد من الأهداف التنصيرية، رأينا الغرب يصنع حزاماً من الإرساليات التبشيرية، يمتد من شرق القارة إلى غربها ماراًّ بجنوب السودان[1].

التبشير في آسيا:

يمثل المسلمون في الهند أقلية كبيرة تصل إلى نحو ١٥٠ مليوناً، وهم ليسوا أقلية إلا بالقياس للأكثرية الهندوسية المحيطة بهم، والتي يصل عددها إلى (٧٥٠) مليون تقريباً.

وما قلناه في المسلمين في الهند ينطبق ـ كذلك ـ على المسلمين في الصين، إذ يبلغ عددهم نحو تسعين مليوناً، من بين مليار ومائتي مليون صيني.

لقد كان في الصين قبل الحكم الشيوعي أعداد هائلة من المساجد والمراكز الإسلامية الضخمة، ومع ما قامت به الحكومة

(١) مجلة المنهل السعودية، عدد ٣٣٥، مقال: المنصرون قادمون، ص ٣١ وما بعدها.

الصينية الشيوعية من تدمير وتخريب لمعظمها مازال فيها الآن ما يقارب ثلاثة وأربعين ألف مسجد، وقد كان فيها جمعيات ومؤسسات ومعاهد دينية كثيرة، فجمعية مثل «جمعية تقدم مسلمي الصين» كانت وحدها تضم (٣٠٠٠) فرعاً. وقد أسست عام ١٣٣٠ هجرية (١٩٠٩م) وكذلك جمعية الأدب الإسلامي ودار المعلمين الإسلامية في بكين[١].

وقد ذهب الأستاذ محمد علي ضناوي إلى أن عدد المسلمين هو (٧٨ مليوناً) في الصين، ثم أورد عددهم في الولايات المختلفة بشيء من التفصيل[٢] وهو ما يجعلنا نميل إلى أن هذا الرقم هو الأقرب إلى الصواب، وبالتالي فنحن لا نتوقع أن يكون عدد المسلمين في الصين الآن أقل من تسعين مليوناً.

ويندرج تحت هذه الكثافة السكانية مع تفاوت في العدد لا في النسبة المسلمون في الفلبين، فهم في حدود خمسة عشر مليوناً من بين ثلاث وستين مليوناً، وتتجاوز نسبتهم ـ بعد كل مراحل الاستئصال والإبادة ـ العشرين في المائة.

وفي تايلاند نحو (٩ ملايين) من (٥٦ مليوناً)، وفي بورما يمثلون (١٥٪) من سكان يبلغ عددهم نحو ثلاثة ملايين، وكذلك في (سريلانكا) تصل نسبتهم إلى (٨٪) أي نحو مليونين من بين ١٧ مليوناً، في (التبت) تبلغ نسبتهم ١٢,٥٪ ويبلغ عددهم أكثر قليلاً من ربع مليون من بين مليونين من السكان.

---

(١) محمد علي ضناوي: الأقليات الإسلامية في العالم ص ١٥٣، مؤسسة الزيان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٢) المرجع السابق، صفحات ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

وثمة ذراع للأخطبوط التنصيري تمتد بقوة إلى كل البلاد الإسلامية الكبرى في آسيا، فبالنسبة لأندونيسيا وباكستان يجب أن نتذكر مقولة المؤرخ الكنسي (ستيفن نل) من أن مصر وباكستان يمثلان أهمية خاصة بالنسبة للحركة التنصيرية، وأن سقوط إحداهما يفتح الطريق أمام حركة التبشير بكنيسة المسيح.

وهكذا نجد باكستان تتعرض منذ الأربعينيات لحملات تنصيرية شرسة، ونقرأ عن مئات المدارس والهيئات التنصيرية التي تعج بها المدن الباكستانية، كما نقرأ عن إذاعة تنصيرية أقامها المبشرون في إحدى الجزر القريبة من باكستان، وإذن لم يكن غريباً أن نعرف أن المنصرين تمكنوا في شهر إبريل ١٩٨٥م، من تنصير نحو ١٨ ألف مسلم بإقليم (رحيم يارخان) في إقليم السند[١].

وفي أندونيسيا يتعرض المسلمون لهجمة تنصيرية عاتية، إذ تذكر التقارير أن جمعية الإنجيل الثانية بأندونيسيا، تمكنت في سنة ١٩٧٦م من تنصير ٤٠٠ ألف شخص، كما ذكرت تقارير وكالة (اليونايتدبريس) أن ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم قد تنصروا خلال ثلاث سنوات.

وفي كوريا، ذكرت الأنباء أن معدل التنصير قد وصل إلى أكثر من مائة ألف شخص.

وتُعدُّ (تايوان) مركزاً جيداً لانطلاق حركة التنصير في القارة الآسيوية كما تعلق الكنيسة آمالاً كباراً على كل من الصين، وفيتنام ـ في الفترة القادمة ـ لزيادة نشاطهم في تلك المنطقة.

---

(١) مجلة المنهل السعودية، عدد ٥٣٥، المقال السابق.

ويتعرض نحو خمسة ملايين مسلم في الفلبين لحملات تنصيرية مسعورة، وبخاصة في جنوب البلاد، وتشير الأنباء إلى حوادث التنصير الجماعية التي جرت في الفلبين، تحت تأثير الضغوط الاقتصادية وحملات التجويع والإرهاب المتصاعد[١] .

وقد انتشرت إرساليات التبشير في الهند، واكتشف المبشرون طريقة التقاط الأطفال، فيحسنون إليهم لاستمالة قلوبهم نحو المسيحية.

أما عن الحركات التنصيرية في مصر، فقد قام المبشرون بتأسيس مدرسة جامعة تشترك فيها المؤسسات التبشيرية كلها على اختلاف مذاهبها؛ لتتمكن من مزاحمة الأزهر الشريف بسهولة، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعاليم اللغة العربية.

ومن أهم المعاهد التبشيرية التي أنشئت في مصر المعهد الذي أسسته جمعية مبشري أمريكا الشمالية، واستطاع المبشرون من خلال المعهد الاحتكاك بالمسلمين عن طريقة المحاضرات الأسبوعية، والمناظرات بين الإسلام والمسيحية، وكان يسمح للمسلمين بحضور هذه الندوات ولهم أن يتكلموا فيها، ثم نشطت هذه الجمعية حتى كانت لها مجلة منتشرة جداً.

التبشير في الجزيرة العربية:

نظر المبشرون إلى الجزيرة العربية بحنق شديد، لأنها كانت في يوم من الأيام مشرق شمس الإسلام، ولأن فيها أماكن مقدسة يحج إليها المسلمون كل عام من أقطار الدنيا.

وحقيقة أن إرساليات التبشير للجزيرة العربية كبَّد النصارى

---

(١) المنهل، السعودية، العدد ٥٣٥، المقال السابق.

نفقات جسيمة إلا أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عدداً بل هو دائماً في ازدياد واتساع، ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانيًا. فكيف يمهد الإسلام مشرق نوره؟!

آثار التبشير:

إننا إذا تتبعنا آثار التبشير نجد أن هؤلاء المبشرين لا يراعون لله حرمة، ولا يحفظون للشعوب التي يذهبون إليها عهداً ولا ذمة، بل تراهم يحيكون المؤامرات والفتن، ويثيرون العداوة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد، وعن آثار التبشير ـ بإيجاز ـ نقول: إن الأمر الذي لا مرية فيه أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد المسلمين ومبادئهم أكثر بكثير من حظهم في التقدم والرقي الحضاري، فالتعليم والتربية اللذان يعتد بهما المبشرون قد أسفر عن نتائج جمة، وأثمر ثمرات ضارة في عقائد الأطفال والمراهقين وأخلاقهم على السواء.

لقد عمل المبشرون على خلق الأسباب التي تدعو إلى الحرب بين الأمم الإسلامية التي يعملون بين شعوبها وبين الحكومات الأوربية التي يعتنقون سياستها، وكان الغرض من تشجيع الحرب المستمرة على الأمم الإسلامية هو إضعافها، كما حدث في الدولة العثمانية إبان الخلافة الإسلامية العثمانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ لأن بلاد أوروبا وأمريكا تنظران حتى اليوم إلى جميع حروبهم مع البلاد الإسلامية نظرة دينية[1].

وقد أدى هذا النشاط في مجال إشعال الحروب إلى النتائج التالية:

(١) كتاب المسألة الشرقية، تأليف مصطفى كامل.

أ ـ حاربت روسيا تركيا عدة قرون حروباً متصلة حتى أضعفتها واستولت منها على بلاد القوقاز وبلاد القرم، كما حاربتها رومانيا واليونان وأهل الجبل الأسود وبلغاريا، حتى خرجت هذه البلاد من تحت سلطة الدولة العثمانية.

ب ـ عملت النمسا وفرنسا على تهييج أمة البلقان على السلطان العثماني.

ج ـ أما إنجلترا فكانت تظهر بمظهر الود، ثم تكيل الدسائس للدول الإسلامية، فقد أهاجت الأرمن والدروز وأهل كريت، ثم حصلت على قبرص، بدعوى مساعدة تركيا في مؤتمر برلين، ثم دفعت روسيا إلى محاربة تركيا، وقد اقترح بعض المبشرين أن تتحالف بريطانيا وفرنسا على سياسة السيطرة على الشواطىء حيث تصلها السفن محملة بآلات الحرب لقتال العرب المسلمين.

هذا بالنسبة لآثارهم الخارجية.

وهناك ميدان آخر للمبشرين، فقد عملوا على إثارة الاضطرابات المختلفة داخل دول الإسلام، وذلك بإذكاء نار العداوة والبغضاء بين الفئات التي كانوا يبشرون بينها في مختلف الدول حتى يكون ذلك ذريعة للتدخل في شئونها بهدف حماية الأقليات المسيحية، ولما فشلوا في التأثير على البيئة الإسلامية أثاروا الخلافات بين الطوائف المسيحية وبين المسلمين، وكان يزعجهم أي تقارب بين المسلمين ومعتنقي الأديان الأخرى.

فقد دفعوا الأقلية الأرمنية على الثورة ضد الحكومة العثمانية، كما أثاروا طائفة الأشوريين في العراق على حكومة العراق، مع العلم بأن الأشوريين طائفة مسيحية قليلة تسكن شمال العراق ولا صلة بينها

وبين الأشوريين الذين كانوا يقطنون العراق قبل الميلاد.

وقد عمل المبشرون ـ يؤيدهم الاستعمار البريطاني ـ على ضم أفراد هذه الطائفة إلى القوات البريطانية لمقابلة ثوار العراق.

وعمل المبشرون على منع انتشار الإسلام واضطهاد المسلمين ونشر الفساد، فإذا لاحظ المبشرون عدم إقبال الوثنيين على المسيحية كما حدث في جنوب السودان كان نشاطهم مقتصراً على منع انتشار الإسلام.

وقد عمل المبشرون على التجسس على الشعوب التي يعملون بالتبشير بينها لحساب الدول الاستعمارية بعامة، والدول التي يتبعونها سياسيًّا بخاصة.

الخلاصة:

إن الانتقال من النصرانية إلى الإسلام كان أكثر من انتقال المسلمين إلى النصرانية، إلا أن هناك تأثيراً مسيحيًّا كبيراً في حياة المسلمين وسلوكهم جاء على يدي هذه الإرساليات التبشيرية، لكن يجب أن نشير إلى أنه لم يحدث قط انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد تبدل ذلك القطر بحكومته الإسلامية إلى حكومة غربية مسيحية، وذلك حين تنتهج هذه الحكومات المسيحية سياسة فعالة في مساعدة تلك الإرساليات التبشيرية[1].

ونضرب لذلك مثالين مشهورين:

المثل الأول: (أندونيسيا):

فإن بعض المصادر تفيد أن التبشير قد نجح في تنصير عدة ملايين أندونيسي فقير من مسلمي أندونيسيا البالغ عددهم مائة

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق، د. محمد عزت، ص ٨٤ ـ ٨٧ ـ ٩٥.

وثمانين مليوناً تقريباً.

وقد ازدهر نشاط الكنيسة في جميع الجزر الأندونيسية، وبخاصة في جزيرة (جاوا) موطن (٦٥٪) من سكان أندونيسيا، الذين يمثل المسلمون نحو (٨٥٪) من تعدادهم.

ومما ذكرته صحيفة (الواشنطن بوست) ـ بشيء واضح من الشماتة ـ أن الحكومة الأندونيسية تعمل جاهدة على عزل العلماء المسلمين وساستهم القدماء عن المجتمع، وقمع الاتجاهات التي تحاول الحفاظ على إسلامية أندونيسيا وأصالتها.

وعلى سبيل المثال، فإن الصحيفتين الكبيرتين في جاكرتا، يسيطر على إحداهما البروتستانت، وعلى الأخرى الكاثوليك، فضلاً عن أن كثيراً من أجهزة الدولة من قوات مسلحة، وجامعات حكومية وأهلية يسيطر عليها النصارى، ويوجهونها لأغراض التبشير[١].

ومن أخطر ما انتهجته بعض الحكومات الأندونيسية التي تعاطفت مع التنصير العمل على تهجير الأهالي من مناطق التجمعات الإسلامية، وقد شملت مناطق التهجير مبونغ في سومطرة، وكاليمنتان، وسولاويس، وكالوكاو، وإيريان.

إلا أن بعض الحكومات الوطنية نجحت في مقاومة هذا المخطط.

كما يعتمد التبشير على طبقة المرشدين الاجتماعيين الذين يخدعون الناس بالأدوية والطعام، ويعطونهم النصرانية في داخل علب القشدة، والزبدة، ولعب الأطفال، كما تقوم الهيئات التبشيرية

---

(١) د. عبدالحليم عويس: ثقافة المسلم: ص ١١٢، ١١٣، ط دار الصحوة بالقاهرة، ١٩٨٤م.

بتبني الأطفال البائسين، وتنصيرهم تحت عنوان (إنقاذ الأطفال) وهو عنوان إنساني كاذب!

المثل الثاني: (محاولات تنصير نيجيريا):

ومع الغارة التبشيرية العامة والمعروفة على إفريقيا المسلمة هناك تركيز على نيجيريا كأكبر بلد إسلامي إفريقي مثل التركيز على أندونيسيا في آسيا، ويشكل المسلمون نحو (٧٥٪) من عدد السكان، ولا تمثل النصرانية أكثر من (٧٪).

ويتجمع معظم المسلمين في نيجيريا الشمالية، وهم قبيلة (الهاوسا) التي تشكل أكثر من (٩٠٪) من سكان نيجيريا الشمالية، ويتناثر بقية المسلمين في مقاطعات نيجيريا الأخرى التي تضم قبائل وثنية ونصرانية.

ومع هذه النسبة، فإن الغزو النصراني لنيجيريا قائم بجدية ونشاط لا يفتر للحظة واحدة، ونحن نلاحظ كيف قامت احتجاجات ساخطة لمجرد أن إقليماً نيجيريًا أعلن تطبيقه للشريعة الإسلامية!!

ولقد أصبحت نسبة المدارس التبشيرية تزيد عن (٧٠٪) من مجموع المدارس في نيجيريا، وأما المدارس الرسمية، فإن التبشير يحاول ـ أيضاً ـ أن يمد نفوذه إليها، مستغلاً فقرها وحاجتها بمدرسين، وبخاصة المدرسات اللاتي جلب التبشير منهن أعداداً كبيرة في نيجيريا الواسعة، وتعمد أن يكنّ من ذوات الجمال والفتنة، وأوعز إليهن بالعري، وبما يتصل به من وسائل نشر الفساد الخلقي بين الشبان[1].

وقد استطاع التبشير هناك استغلال النصارى المحليين كل

(١) المرجع السابق: ص ١١٧، ١١٨.

استغلال في مجال الاقتصاد، بحيث أصبح معظم رأس المال الوطني في أيديهم وأيدي الأجانب، وصار من الصعوبة بمكان أن يجد المسلم عملاً يقتات منه، وقد أصبح النيجيري المسلم، يبدو وكأنه غريب في بلده التي يرى خيراتها في يد غيره من المبشرين الذين يلوّحون له بالطريق الوحيد للوصول إلى الثروة والعمل.

وهذا الفقر ـ أو الإفقار كما هو معروف ـ هو طريق العقائد والمذاهب الهدامة دائماً من أمثال الوجودية، والشيوعية وغيرهما.

ولم يستح (المنصرون) أن يحذوا حذو المذاهب الهدامة وأساليبها اللادينية!!

الباب الثاني
الاستشراق

الاستشراق

الفصل الأول: التعريف بالاستشراق

إن الاستشراق من حيث الرؤية العامة النظرية، يفترض فيه رؤية موضوعية لتاريخ العلاقة التاريخية: القديمة، والوسيطة، والحديثة، بين الشرق والغرب، من أجل التواصل الحضاري والروحي بين أبناء شعوب حضارات ضاربة في القدم، مختلفة جغرافيًا، أو متباعدة تاريخيًا، ضرورة استمرار الوجود الحضاري، وإقامة جسر ثقافي للتبادل المعرفي، وهو مبدأ عرفته البشرية كوسيلة فعّالة لإحياء حوار الحضارات، وفي ذلك كله ما يعين على الخروج من الأزمات الحضارية، التي كثيراً ما تنعقد وتتشابك علاقاتها، وفي ذلك خير للشرق والغرب، والتواصل الحضاري بين الشعوب.

لكن واقع الاستشراق، من حيث منظوره التاريخي على العكس من ذلك، فهو كما وصفه (إدوارد سعيد) أسلوب غربي لسيطرة على الشرق، وامتلاك السيادة عليه[١] .

وقد أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأديانهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية، وقد بدأ الاستشراق منذ دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا، وكان المسلمون قد احتلوا عرش السيادة الدولية وملأوا سمع الزمان وبصره، وأخذت أوروبا الغارقة في الجهل

(١) د. محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار، ص ١٤١، ط دار الفكر العربي.

والتخلف الحضاري يومئذ تبحث عن أسباب نهضة المسلمين وبلوغهم هذا المجد العظيم، وأخذ بعض رجال الكنيسة الأوربيين يدرسون علوم هؤلاء الفاتحين ولغاتهم لعلهم يظفرون من علوم المسلمين بما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم، فكان الاستشراق طلباً لعلوم الشرقيين.

ولما كان المحركون للحروب الصليبية من رجال الكهنوت طبقة تكاد تكون منحصرة في الكنيسة، كان أوائل المتوجهين للدراسات الشرقية من هؤلاء الرجال، ولا ريب أن أغراضهم في ذلك تواكب أغراض الحروب الصليبية التي أخذت أسلوباً جديداً في الغزو غير أسلوب الغزو المادي المسلح وتتفق مع أهداف التبشير بالمسيحية.

ثم أسست للاستشراق معاهد وتألفت جمعيات من المستشرقين للتعاون في الأعمال المتعلقة بالدراسات والعلوم الشرقية كنشر بعض المخطوطات العربية، ووضع الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية ووضع المعاجم المفهرسة الشاملة لبعض الكتب الإسلامية وتفصيل آيات القرآن الكريم بحسب موضوعاتها.

ولقد رأى اليهود في الاستشراق باباً خطيراً من أبواب التسلل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها وفق طريقتهم فتخصص فريق منهم في الدراسات الشرقية وتابعوا المسيرة ضمن الخطط اليهودية حتى احتل اليهود عدداً كبيراً من كراسي الدراسات في الجامعات الكبرى، وأخذوا يخدمون الأغراض اليهودية الصهيونية في هذا المجال تحت ستار خدمة أغراض المستشرقين المسيحيين وأغراض الدوائر الاستعمارية، وأصبح للاستشراق مدارس عديدة كل منها له

أهداف تنسجم مع المذهب الفكري أو الديني الذي يتبعه المنتسبون إليها، وباستطاعتنا أن نقسم هذه المدارس إلى ما يلي :

١ ـ مدارس نصرانية :

وهذه تنقسم قسمين :

أ ـ الكاثوليك .

ب ـ البروتوستانتية .

٢ ـ المدرسة اليهودية .

٣ ـ المدرسة الإلحادية العامة .

٤ ـ المدرسة الإلحادية الشيوعية .

ورافق كل ذلك فتنة المسلمين بالحضارة المادية الغربية ووقوعهم فريسة لخطط نصرانية عن طريق التعلم وأساليبه ومناهجه، وهي خطط ماكرة جعلت الجامعات في بلاد المسلمين تحصر المراتب العلمية فيها على حملة الشهادات في العلوم الإنسانية المستمدة من تعاليم النصرانية[1] .

وقد كان لظهور الاستشراق دوافع عديدة دينية، وسياسية، واستعمارية، وتجارية، ودوافع علمية ـ كما ألمحنا ـ إلا أن الدافع الديني كان هو الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين، فقد بدأ الاستشراق بالرهبان، وهؤلاء كان يهمهم بالدرجة الأولى أن يطعنوا في الإسلام، ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم أن الإسلام دين غير جدير بالانتشار .

وقد تزامن ظهور الاستشراق بكتائبه العلمية المدربة على التشويه العلمي، مع ظهور طلائع الجيوش الأوروبية التي تملك معيناً

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة، عبدالرحمن حبنكة، ص ٦٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ .

لا ينضب من الثروات المادية والفكرية.

وما كان ليتأتى للغرب ـ بعد الوقوف على حقيقة الشرق، وفشل الحروب الصليبية ـ أن يكون أميناً في نقل صورة الشرق، وكيف يكون أميناً، وقد تعلم منه دروساً في الهزيمة جعلته لا يستطيع نقل الصور الإيجابية، فكان همه نقل الصور السلبية عن الشرق والإسلام وهي تلك الصور التي ساهمت في تشويه الشرق المسلم، كما أن الشرق قد أدرك عجزه ـ في المقابل ـ أمام الغرب وثقافته، فولّد ذلك لديه الشعور بالنقص والعجز عن إنتاج ثقافات روحية ـ ذات فعالية ـ أمام ميول الغرب المادية[1] ، التي تعتمد على فعالية كبيرة!!

وفي أعقاب الحروب الصليبية، اتسمت علاقة الغرب الاستعماري بالعالم الإسلامي بالتناقض والازدواجية، فمن جانب ظهر الموقف الإيجابي من الفكر (الفلسفي والعلمي والجمالي) الإسلامي، ومن جانب آخر، ظهر الموقف العدائي من الإسلام كدين ونظام اجتماعي وأخلاقي، فدخلت الثقافة الإسلامية عصر النهضة الأوروبية؛ بوصفها ركناً أساسيًّا من أركان النهضة الثقافية، عن طريق تأثير إنجازاتها العلمية والفنية المباشرة، على أساس أنها الجسر الذي عرفت عن طريقه أوروبا منجزات الحضارات القديمة، وخاصة اليونانية، والرومانية، والإسلامية. وقد كان من أبرز من كرسوا العلاقة العدائية بالإسلام، (دانتي أليجيري) وقد برز ذلك في عمله الشهير (الكوميديا الإلهية) التي جسد فيها الروح الصليبية بمعنى الكلمة... فكانت «الكوميديا» ـ بحق ـ الملحمة الشعرية الدينية، المعبِّرة عن التصور المسيحي للعالم الأرضي وعالم الآخرة، كما

(١) د. محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار ص ١٦٠، نشر القاهرة.

قدمت صورة الفكر النصراني الفلسفي والجمالي لقرون طويلة، وألهمت أعلام النهضة الأوربية في شتى مجالات الفن والأدب والفكر[١].

وكان (وليم باستيل) أول عالم أوروبي برز في العمل الاستشراقي، وكان مخلصاً للكنيسة كل الإخلاص.

ثم تتابع المستشرقون بعد (باستيل) وكان من أخطر هؤلاء المستشرقين:

١ ـ (أربري) الإنجليزي.
٢ ـ ألفريد جيوم الإنجليزي.
٣ ـ بارون ـ كارادوفو الفرنسي.
٤ ـ جولد تسيهر المجري.
٥ ـ جون ماتبرد الأمريكي.
٦ ـ زد عير الأمريكي.
٧ ـ عزيز عطية سوريال المصري النصراني.
٨ ـ فليب حتَّى اللبناني النصراني.
٩ ـ لوي ماسينيون الفرنسي المعاصر.
١٠ ـ ماكدونالد الأمريكي.
١١ ـ مارجليوث الإنجليزي.
١٢ ـ نيكلسون الإنجليزي.
١٣ ـ هنري لامانس.
١٤ ـ يوسف شافت الألماني.

---

(١) المرجع السابق: ص ١٦٠، ١٦١.

١٥ ـ هانوتو.
١٦ ـ دنلوب، وكرومر ونظائرهم من المدرسة السياسية الاستشراقية الاستعمارية[١] .

(١) د. عبدالحليم عويس: العقل المسلم، ص ١٣، ١٤، نشر القاهرة ١٤٢٠هـ، طبع دار الصحوة، مصر.

الفصل الثاني
أهداف الاستشراق ووسائله

أولاً: أهداف المستشرقين:

تنقسم أهداف المستشرقين من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ هدف علمي مشبوه يهدف إلى:

ـ التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ.
ـ التشكيك بأن الإسلام دين من عند الله.
ـ التشكيك في القرآن الكريم.
ـ التشكيك في صحة الحديث النبوي.
ـ التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي.
ـ التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور.

ب ـ هدف ديني وسياسي:

ج ـ أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص، لفهم العقلية الإسلامية من خلال فهم مكوناتها الثقافية والتاريخية، والتخطيط ـ بالتالي ـ لضرب مقومات نهضتها ومشاريعها الحضارية.

أ ـ أولاً: الهدف العلمي المشبوه:

١ ـ للتشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، فجمهور المستشرقين ينكرون أن يكون الرسول نبيًّا موحى إليه من عند الله عز وجل، فتراهم يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ وبخاصة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى (صرع) كان ينتاب النبي ﷺ.

ومنهم من يرجعها إلى تخيلات.

ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وكأن الله ـ سبحانه ـ لم يرسل نبيًا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة وهم لم يحصل لهم ما حصل للنبي ﷺ محمد عليه الصلاة والسلام من التأثير في التاريخ والمبادىء وانتشار الرسالة، لذلك كان إنكارهم لنبوة محمد ﷺ مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسيسين ومبشرين.

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً من عند الله، وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن أميّ مثل محمد، ويقولون إنه استمده من أناس كانوا يخبرونه به، وحين يفحمهم بحقائق لم تظهر إلا في هذا العصر يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي ﷺ.

وحين بدأ الفكر الغربي يبحث في سيرة رسول الإسلام (عليه السلام) راح يتشكك في نبوته بمنهج ديني صرف مترع بالتعصب والتشنج والانفعال المليء بالحقد والغضب والكراهية تحيط به جهالة عمياء، متعمدة حيناً وغير متعمدة أحياناً، جعلت بين القوم وبين شخصية الرسول سدًّا يصعب اختراقه[1].

ويرى بعض المعاصرين أن المستشرقين في موقفهم من الرسول ينقسمون إلى أربعة أقسام:

١ ـ فريق منهم يؤمن بأن محمداً صادق قولاً وعملا، وأنه أوحي

---

(١) د، عمادالدين خليل: الإسلام والمستشرقون ص ٢٤٣، ط عالم المعرفة، جدة.

إليه حقًّا، وهؤلاء عدد قليل جدًّا، وليس لرأيهم في نبي الإسلام تأثير يذكر بين أقوامهم.

٢ ـ فريق آخر يعتقد أن النبي محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ مخلص قولاً وعملاً، ولكن كان يخبر بما خيل إليه أنه رآه أو سمعه، وهو في حالة غيبوبة.

٣ ـ فريق ثالث يعتقد أن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ جمع مأثورات يهودية ومسيحية وأساطير دينية قديمة، وروايات شعبية شفوية، ثم نشرها في قومه على أنها وحي من عند الله.

٤ ـ وفريق رابع يقف من محمد ﷺ موقف المرتاب أو الجاحد المنكر في جزم وتهكم[١].

ويمكن أن نرص حشداً من الأخطاء المنهجية والموضوعية حفلت بها هذه الأقسام كلها، وحسبنا هنا أن نشير إلى أنماط من هذه الأخطاء[٢] المنهجية بخاصة.

أولاً: الاعتماد على الضعيف الشاذ، فقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان، وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ والغريب، فقدّموه على المعروف المشهور، وتعمدوا ذلك لأن الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك[٣].

ثانياً: ردّ معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية: فإن معظم المستشرقين النصارى، هم من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت.

---

(١) مجلة الأزهر: المجلد ٤٢، ص ٣٦٦.

(٢) د. عمادالدين خليل: الإسلام والمستشرقون: ٢٤٨.

(٣) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/٨، ١١.

وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني.

وطائفة المستشرقين اليهود، وخاصة بعد قيام إسرائيل يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي[١] .

ثالثاً: اعتماد المنهج المعكوس والانتقاء الكيفي، إذ أنهم يبثون فكرة مسبقة، ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يسلتوا منها ما يؤيد فكرتهم[٢] .

رابعاً: التعاطف مع العناصر المضادة للإسلام وبخاصة اليهود. يشير (إسرائيل ولفنسون) بصدد مهاجمة يهود بني النضير إلى أن بني النضير لم يكونوا ينوون الغدر بالنبي واغتياله، على مثل هذه الصورة، لأنهم كانوا يخشون عاقبة فعلهم من أنصاره، ولو أنهم كانوا ينوون اغتياله غدراً لما كانت هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه من فوق الحائط[٢] .

خامساً: النفي الكيفي وإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ، لقد غالوا في كتاباتهم في السيرة النبوية، وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك حتى في اسم النبي، ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده[٣] ، مثلما فعل بعض الأوربيين حين شككوا في شخصية المسيح عليه السلام.

٢ ـ التشكيك في القرآن الكريم:

لقد كتب المستشرقون عن القرآن دراسات لاسبيل إلى

(١) (٢) المرجع السابق: ١/ ٩ ـ ١١، ١/ ٩٥.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٣٥ ـ ١٣٧.

(٣) جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام: ص ١، ٩، ١١.

حصرها، وكان هذا مظهراً من مظاهر الاهتمام بكتاب الله، وهو اهتمام ليس مبعثه معرفة الحقيقة، ولكنك تلمس فيه وجوهاً من التحامل والهجوم على القرآن ووصفه بما لا يليق أن يوصف به، وهي وجوه أقل ما يقال عنها: إنها منافية لموضوعية العلم وأخلاق العلماء!!

إن الاستشراق بذل جهداً كبيراً، وأنفق أموالاً كثيرة فيما سطر عن كتاب الله، وجاء ما سطره في مجمله لوناً من التخرصات والأوهام والظنون والافتراء والتضليل.

وقد انطلق الاستشراق في دراساته حول القرآن من مبدأ الاعتقاد ببشرية مصدره، وراح يتلمس له مصدراً آخر غير الوحي الإلهي ويرجع المستشرقون القرآن إلى عاملين: أحدهما داخلي، والآخر خارجي.

ويقصدون بالعامل الداخلي: البيئة الجغرافية والحياة الاجتماعية والدينية والثقافية للعرب.

وأما العامل الخارجي فيراد به وجود تأثير مزعوم لليهودية والنصرانية ومعتقدات وعادات الأمم الأخرى في الإسلام[1] !!

ويزعم المستشرقون أن العوامل الخارجية التي أمدت الرسول بالأحكام والتعاليم التي وردت في القرآن هي الحِكَم والمواعظ والمبادىء والأوامر والنواهي والقصص الواردة في كتب التوراة والأناجيل (المتناقضة)!! والكتب السماوية الأخرى المفقودة (قريباً من وفاة أصحابها)!!

(١) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي ص ٨٧ ط دار الوفاء، مصر.
الظاهرة الاستشراقية ١/ ٣٧٧.

وقد خاض الاستشراق في تاريخ القرآن، فشكك في الوسائل التي استخدمت لحفظه، ومن ثمَّ نفى أن يكون القرآن قد دوِّن في عهد النبوة، وحكم على ما دوَّنه أبو بكر بأنه يختلف في مضمونه وترتيبه عما كان يحتفظ به بعض الصحابة، وأن مصحف عثمان لم يلقَ قبولاً من كل المسلمين، وأنه في عهد عبدالملك بن مروان أدخلت على القرآن تغييرات وتعديلات. . . إلى غير هذا من الهذيان!!)

ولم يكتفِ الاستشراق بذلك، بل إنه راح يتهم الصحابة بالحذف والإضافة في النص القرآني، زاعماً أن الأهواء السياسية لعبت دورها في تغيير بعض الآيات وحذفها[١] ، مع أنهم يعرفون أن الأمة كلها كانت تصلي بالقرآن وتتناقله ـ بالحفظ ـ نقلاً متواتراً لم يعرف مثله في التاريخ!!

ولكي يلبسوا هذا الاتهام ثوب الحقيقة العلمية عوّلوا على بعض الآثار اليهودية (الإسرائيليات) والروايات الموضوعة، ولم يرجعوا إلى المصادر الأصلية والأقوال الصحيحة!!

ومن عجيب ما يزعمه أحد المستشرقين اللاأخلاقيين (وهو أعجمي لا يكاد يبين) أنه يحكم على القرآن (وهو الوثيقة العربية الخالدة) بأنه ليس فصيحاً، وأن به أخطاء لغوية[٢] !!

٣ ـ الكذب الاستشراقي على السنة النبوية:

وقد وقف المستشرقون من السنة النبوية موقفاً لا يقل مجافاة للمنهج العلمي عن موقفهم من القرآن، وحاولوا أن يثبتوا أن المسلمين على اختلاف طوائفهم، قد أسهموا في الوضع والتدليس

(١) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي: ١٠٢ بتصرف.

(٢) د. صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٧١ طبع بيروت.

على الرسول، ونسبة الأحاديث كذباً إليه، وأن الأهواء والخلافات السياسية والمذهبية كانت من وراء حركة الوضع.

ويكاد يجمع المستشرقون على أن السنة لم تعرف التدوين إلا في القرن الثاني الهجري، وهذا يعني ـ في فهمهم السيىء ـ أن السنة لم تكتب في حياة الرسول أو الصحابة من بعده، ومن ثم تفقد مصداقيتها، مع أننا نعرف أن هناك صحابة كثيرين كانت لهم (مدونات) وكانت تنقل عنهم!!

كما دندن المستشرقون حول بشرية العلماء الذين دوَّنوا السنة، وأنه لا يستحيل عليهم الخطأ والنسيان، مهما بلغت درجة حفظهم واحتياطهم، فكتاب كصحيح البخاري مثلاً لا ينبغي أن يوثق به، ويحتوي على كثير من الأمور التي يود المؤمن الصادق أنها لم ترد فيه[1] ـ هكذا يزعم المستشرقون!!

ومن أكثر المستشرقين انحرافاً عن جادة البحث العلمي النزيه في السنة وعلومها، المستشرقان (جولد زيهر) و(شاخت) وهما يتفقان في النتيجة العامة لدراستهما، وإن كان بينهما بعض الاختلافات الفرعية[2] .

* * *

إن الاستشراق يدرك أن العمل بالقرآن على الوجه الصحيح لا سبيل إليه إلا بالعمل بالسنة، فإذا طعن فيها وأساء إلى رواتها، وشكك في صحة مصادرها، فإن الأمة لا تستطيع أن تعمل بكتاب ربها، فهي الحرب ضد الإسلام والمسلمين، وهو الغزو الفكري

---

(١) د. سامي سالم: الظاهرة الاستشراقية ١/٤٩٨.

(٢) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي ص ١٠٩.

الذي يعد أشد خطراً من الغزو العسكري.

إن الدراسات الاستشراقية في السنة، كالدراسات في القرآن كثيرة، بيد أنها كلها تتخذ لها منهجاً واحداً، وإن تباينت بعض معالمها وسماته، وهذا المنهج لا يعرف الموضوعية، ولا يحرص على معرفة الحقيقة.

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في منهجهم هذا ما رأوه في الحديث النبوي من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون في نبوة محمد ﷺ، فادّعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر عن محمد الأمي، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بمحمد ونبوته، ومنها تنبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم.

والتراث العلمي للمسلمين حول السنة يدحض كل المفتريات والشبهات التي روّج لها الاستشراق، ويكشف عن اضطراب منهجه، وأن آراءه لا وزن لها علميًا[1] .

٤ ـ الاستشراق والفقه الإسلامي:

إن تراثنا الفقهي الإسلامي ثروة علمية عظيمة، لها تاريخ طويل، وهي ثمرة جهود رائعة، لأجيال متتابعة من العلماء والمجتهدين، وهؤلاء على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية، كانوا في اجتهادهم يعتمدون على المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية.

وهذا التراث من ناحية أخرى أصيل في نشأته، ونظرياته، فلم يكن له من رافد، سوى مصادره الأساسية، وما تمتع به الفقهاء من فهم ثاقب، وإدراك لمقاصد الشريعة وغاياتها، وأن الأحكام التكليفية

---

(١) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي ص ١٠٩.

لا حرج فيها، وهذه الحقيقة العلمية حول التراث الفقهي الإسلامي ومكانته وأثره في الفكر الإنساني وقف منها المستشرقون موقفاً لا يعرف الموضوعية العلمية.

إن جمهور المستشرقين لا يعترف بقيمة علمية للفقه الإسلامي، ويحاول نفي كل جديد جاء به الفقهاء المسلمون، ويعزو ذلك إلى مصادر غير إسلامية، وفي مقدمتها القانون الروماني، فالذين درسوا تاريخ الفقه الإسلامي من المستشرقين يرون بوجه عام أن هذا الفقه اعتمد على القانون الروماني، بل إن من غالى غلوًّا كبيراً وذهب إلى أن الشريعة الإسلامية ليست إلا رشحاً للقانون الروماني للإمبراطورية الشرقية، معدلاً وفق الأحوال السياسية للبلاد العربية، وهذا رأي لا يصدر عن عالم يعرف شيئاً من التاريخ، أو ما أتى به القرآن الكريم والسنة المطهرة في التشريع الإسلامي.

وجملة الأدلة التي يأخذ بها هؤلاء المستشرقون في دعواهم تقوم على ما رأوه من الشبه بين بعض أحكام التشريع الإسلامي والقانون الروماني، ثم إلى ما ينشئه الالتقاء الحضاري بين الأمم في العادات والأعراف القانونية من تأثير متبادل[١] . وأغمضوا أعينهم عن ذلك التباين الشاسع بين الفقه الإسلامي الشامل لكل مناحي الحياة وبين القانون الروماني الوثني العقيم.

وقد حاول المستشرقون إثبات ما ذهبوا إليه من نفي أصالة الفقه الإسلامي بالتركيز على تشويه رجاله العظام، واتهامهم بأنهم عالة على غيرهم.

---

(١) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي ص ١١١.

ونحن نؤكد أن هذه الاتهامات عارية عن الدليل، بل نراها نوعاً من الاستخفاف بعقولنا، وعقولنا الإسلامية أكبر من أن يُستخف بها!!

٥ ـ التشكيك في قدرة اللغة العربية:

درج المستشرقون على التحقير من شأن اللغة العربية واتهامها بالعجز عن مسايرة التطور العلمي، وذلك بهدف جعلنا نظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم، وسلطانهم الأدبي، كما يتهمون اللغة العربية بفقرها في المفردات والتراكيب لنتجه إلى آدابهم، ولنتشبع بروحهم المادية وفلسفاتهم الحائرة، وتلك هي الحروب الأدبية التي يبغونها مع الاستعمار العسكري.

ويتهم المستشرقون الأدب العربي بضعف أو فقدان التجربة الإنسانية الصادقة، ويرون أن التاريخ الإسلامي سلسلة من الأكاذيب، ويلح الاستشراق على أن العربية لا تصلح لغة للعلم المعاصر، وأن قواعد نحوها وصرفها عسيرة، وأن على المسلمين أن يتخلوا عن هذه اللغة الصحراوية، لأن تمسكهم بها سيحول دون نهضتهم وإسهامهم الإيجابي[١]، ونحن نقول: إن هذه الاتهامات تكذبها آلاف المجلدات العلمية التي ترجمها الأوربيون أنفسهم إلى لغاتهم وكانت سبباً في نهضتهم وحضارتهم، ولم تكن لغة العرب عائقاً يوماً من الأيام عن السبق الحضاري، والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة، بل إن العربية بكثرة تصاريفها قادرة على استيعاب حضارة اليوم والغد.

ثانياً: الأهداف السياسية:

وتتلخص هذه الأهداف فيما يلي:

---

(١) مجلة الأمة القطرية، عدد (٤٧) ص ٢٦.

١ ـ تشكيك المسلمين في قيمة تراثهم الحضاري فيدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة، وأن المسلمين ليس لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري رغم امتلاء حضارتهم بالنقائض.

٢ ـ إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك في كل ما بأيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا.

٣ ـ إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وإثارة الخلافات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، وهم يجتهدون لمنع اجتماع شملهم ووحدة كلمتهم وذلك بتصيد الحوادث الفردية في التاريخ ليضعوا منها تاريخاً جديداً.

ثالثاً: أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص:

إن دراسة التراث العربي والإسلامي كانت تكشف لهم بعض الحقائق الخفية عنهم وهذا من الصنف الذي يقوم بالبحث قليل عدده جداً، وهم مع إخلاصهم في البحث لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية فيتصورونها كما يتصورون محبة مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية بيننا وبينهم.

هذا... ونحن نستطيع توزيع المستشرقين حسب أهدافهم العلمية إلى ثلاثة طوائف[1]:

١ ـ طائفة لا تعرف اللغة العربية والمصادر الأصلية للعلوم الإسلامية، وهي تعتمد على كتابات الآخرين عن الإسلام وعلومه من

---

(١) صباح الدين عبدالرحمن: الأسس الأولية لدراسات المستشرقين: ١٤٥ وما بعدها.

الكتب المترجمة إلى لغاتهم، وهي معلومات تنقصها الصحة والواقعية.

٢ ـ طائفة تعدّ من خبراء التاريخ الإسلامي والفلسفة واللغة العربية، ولكنها لا تعرف شيئاً عن السيرة النبوية والعلوم الدينية الشرعية، وهي تنال من الإسلام بجرأة، ومنهم المستشرق الألماني «نولدكه» الذي قام بدراسة القرآن، ولكن مقالته في دائرة المعارف الإسلامية عن القرآن تنم عن مدى تعصبه وجهله.

٣ ـ طائفة ثالثة درست التراث الإسلامي لكنها تحاملت على الإسلام والمسلمين مثل «مرجليوث» الذي عرف بالاطلاع الواسع والتنقيب، فرغم دراسته لمسند الإمام أحمد، إلا أن كتابه عن سيرة الرسول أكثر الكتب كذباً وافتراءً[١].

وقد صنفهم الدكتور (عمر فرّوخ) إلى طوائف أخرى ـ حسب أعمالهم ـ على النحو التالي:

ـ صنف كانت جميع جهودهم في خدمة دولتهم مثل (لويس ماسيثيون الفرنسي) الذي كان مستشاراً في وزارة الخارجية الفرنسية.

ـ ونفر من المستشرقين كسبوا معاشهم من التعليم في جامعة من الجامعات مثل (هـ. ا. جب الإنجليزي)، و(باول كاله) الألماني، و(كولان الفرنسي).

ـ وهناك نفر قليل قام بالعمل الاستشراقي، وبذل فيه جهداً علميًّا شبه خالص[٢].

وهذه الفئة أسلم الفئات أهدافاً وأقلها خطراً حيث يعيش

---

(١) المرجع السابق ١٤٦.

(٢) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة.

أحدهم بقلبه وفكره في البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق لكنهم يلقون عنتاً ولوماً من أصحاب الهدفين السابقين، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي أو الانسياق وراء العاطفة أو مجاملة المسلمين كما فعلوا مع (توامس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم (الدعوة إلى الإسلام) فقد برهن على تسامح المسلمين في مختلف العصور مع مخالفيهم في الدين، فقال المستشرقون عنه أن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب للمسلمين.

ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد توفي المستشرق المسلم في فرنسا ودفن في الجزائر[1] رحمه الله.

وهذا النفر الأخير قال فيهم الشيخ أبو الحسن الندوي[2] :

إن عدداً من المستشرقين كرّسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون الخضوع لضغوط العوامل السياسية أو الاقتصادية أو الدينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيه جهوداً ضخمة، ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحهم والثناء عليهم،

---

(١) كتاب الاستشراق والمستشرقين، الدكتور مصطفى السباعي، ص ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة ١٣٦ وما بعدها.

وبفضل جهودهم برزت كثير من نوادر العلم والمعارف، فجزاهم الله خيراً كفاء ما قدموا. . !!

وقد أخذ الشيخ أبو الحسن الندوي يسرد أمثلة من هذه الطائفة، فحصر منهم الأسماء اللامعة التالية:

- ت. و. آرنولد صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام.
- استانلي لين بول صاحب كتاب (صلاح الدين الأيوبي) و(العرب في الأندلس).
- اسبرنجر صاحب المقدمة الإنجليزية النفيسة لكتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني.
- ونسنك صاحب (المعجم المفهرس للأحاديث النبوية) المدونة في كتب الأئمة الأربعة عشر الشهيرة، وكتب السيرة والمغازي المشهورة.
- و. ج. ب استرتنج (جغرافية الخلافة الشرقية).

ويضيف الدكتور عمر فروخ أسماء أخرى فيذكر منهم[1]:

- كارل بروكلمان صاحب (تاريخ الأدب العربي).
- فيشر الألماني الذي جمع بطاقات لعمل معجم تاريخي للغة العربية، وأعلى هذه البطاقات بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

* * *

أما الغالبية العظمى من المستشرقين فكان دأبها البحث عن مواضع الاشتباه والتحامل في الشريعة الإسلامية، والحضارة، والتاريخ الإسلامي، وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية، فكان شأنهم في ذلك شأن من لا يرى في مدينة ذات بهجة، ونضارة،

---

(١) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسية ١٣٦ وما بعدها.

ونظام، ونظافة، إلا مزابل، ومراحيض، ومستنقعات. . . فنرى كثيراً من المستشرقين يركزون كل جهودهم ومساعيهم على مواطن الضعف في تاريخ الإسلام ومجتمعه ومدنيته. . . ويمثلونها في صورة مروعة مضخمة(١)، ويثيرون في قلوب القادة والمثقفين من أبناء العالم الإسلامي الشبهات حول الإسلام وأهليته الحضارية، ويحدثون في نفوسهم اليأس من مستقبل الإسلام، والمقت على حاضره، وسوء الظن بماضيه، فيبحثون في إنشاء قانون أو تشريع آخر بحجة التطوير أو الاصطلاح(٢).

* * *

ومع ذلك فقد كان المستشرقون قنطرة لنقل التراث الإسلامي إلى اللغات الأوربية، وقد أفادوا قومهم بهذا النقل، وخدموا نهضتهم الأوربية.

فلقد نقل المستشرقون من مؤلفات الشرق الإسلامي كثيراً من الكتب ذات الشأن سواء في الدين الإسلامي أو المسيحي، أو في العلوم أو التاريخ أو اللغة أو المواد الفلسفية، وإليك بعض النماذج:

ـ في الفلك والجغرافيا:

١ ـ صورة الأرض: لمحمد بن جابر البتاني، نشره لولوفيل.

٢ ـ رحلة ابن جبير: نشره البارون «دي سلان» سنة ١٨٧٩م.

٣ ـ رحلة ابن بطوطة: نشره «الفرمي» و«سانفيناشي».

٤ ـ الخطط: للمقريزي ـ نشره «جاستون فييت».

٥ ـ وصف مصر: لعمر بن محمد الكندي ـ نشره «أويسترب».

---

(١) أبو الحسن الندوي، الإسلام والمستشرقون ص ١٧، ١٨ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، بتصرف.

- في التاريخ:

١ - تاريخ سيطرة العرب على أسبانيا: للنويري نشره «جاسبار ريميرو».
٢ - طبقات الأمم: لصاعد الأندلسي ترجمة (رجيس لويس بلاشير).
٣ - أسبانيا المسلمة: لابن الخطيب، نشره: «ليفي بروفنسال».
٤ - البيان المغرب: لابن عذارى، نشره «ليفي بروفنسال».
٥ - مروج الذهب: للمسعودي، ترجمه «ري كورثاي».
٦ - كامل في التاريخ: لابن الأثير، نشره: «فتيان».

- في العلوم والطب:

١ - أسماء النباتات المختلفة: لابن العوام ترجمة «مولله» في جزئين.
٢ - طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة، ترجمة: «د. لكر».
٣ - رسالة في السموم: لابن ميمون، نشره المستشرق «مرسيل» الفرنسي.
٤ - ملخص الجامع الكبير: لابن البيطار، نشره «سوفير».

- في الرياضيات:

١ - مخطوطات الرياضيين الإسلاميين - نشره «كروازه الألماني».
٢ - الرياضيون المسلمون - ألفه «كروازه» الألماني (طبع برلين عام ١٩٣٦م).

- في الفلسفة:

ترجموا ونشروا الكثير، ومن ذلك:

رسالة (حي بن يقظان) نقله إلى اللاتينية «بوكوك» الإنجليزي في القرن السابع عشر الميلادي[1].

---

(١) د. عبدالمتعال الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري: ص ١٧ - ٢٢ بتصرف.=

٢ ـ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه :

ومن ذلك ما يصدره معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة (فرانكفورت) بألمانيا، وهي سلسلة كتب بدأ إصدارها سنة ١٩٨٤م. ويهدف هذا المعهد إلى إبراز مكانة هذه العلوم وتاريخها، في ميادين الطب والفلسفة والرياضيات، والعلوم الإنسانية في إطارها التاريخي والعلمي، إلى جانب النصوص الأصلية للتراثين الفكريين العربي والإسلامي، مع صرف النظر عن القضايا العربية المعاصرة.

وقد تضمن الكتاب الصادر في فبراير ١٩٨٨م، وهي في (٤٣٠ صفحة) عدداً من البحوث التي اهتم بها المستشرقون، منها :

ـ كتاب الآثار العلوية : وهو بحث باللغة العربية للدكتور فؤاد سزكين في تعليل الظواهر الجوية.

ـ كتاب : «ثلاث رسائل فلسفية» لجابر بن حيان هي كتاب : المعرفة، وكتاب النفس، وكتاب القسمة، وهي كتب تمهيدية للفلسفة الإسلامية العربية.

ـ ملخصات بالعربية لكتب أجنبية، مثل كتاب (علم الفلك العربي) و«كوبرنيكوس» الذي وصفه بالإنجليزية (جورج صليبا) وكتاب حركات الأرض في رسائل إخوان الصفا، للأستاذ (اليساندرو باوساني).

ثانياً : وسائل المستشرقين في تحقيق أهدافهم :

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها ومن هذه الوسائل :

= نشر مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١ ـ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو في فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

ومن هذه الإصدارات الدورية في أمريكا: مجلة جمعية الدراسات الشرقية، ولها فروع في لندن وباريس ولينبرج وتورنتو في كندا، وهي سياسية الطابع من وجهة نظر الغرب، وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وبخاصة في باب التعريف بالكتب.

وفي أمريكا أيضاً تصدر مجلة الشرق الأوسط، ومجلة شؤون الشرق الأوسط، وطابعهما سياسي، وأخطر منهما مجلة (العالم الإسلامي) التي أنشأها (صمويل أويمر) في سنة ١٩١١م، وتصدر من (هارتيفورد) بأمريكا وكان يرأس تحريرها «كنث كراج» وهي تبشيرية سافرة، ومثلها في فرنسا مجلة (العالم الإسلامي).

٢ - كما أصدروا بمعظم اللغات الحية دائرة المعارف الإسلامية محشوة بالمغالطات، وفي روسيا أسست المستشرقة الروسية (أولجادي لبيديفيا) المشهورة باسم (كلنار) الجمعية الشرقية الروسية، وحذا حذو هذه الأمم شعوب أخرى مثل بلجيكا والدانمارك، وأنشئت بكل جامعة ومعهد مجلات خاصة بالمشرقيات حتى بلغت أكثر من ثلاثمائة مجلة متنوعة[١].

٣ ـ إلقاء المحاضرات الخاصة في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن الملاحظ ـ والمؤسف في الوقت نفسه ـ أن أشد هؤلاء المحاضرين ـ خطراً وعداءً للإسلام كان يدعى إلى الجامعات العربية

(١) د. عبدالمتعال الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ص ٦٠، ٦١، بتصرف.

والإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وعليكره، وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام وأهله.

فمن هذه الجمعيات على سبيل المثال:

- في النمسا: جمعية الشرق النمساوية بفيينا، وهي تقترن باسم المستشرق «هامر بورغستال» وهي معنية بثقافة الدول الإسلامية والعربية، وقد نظمت سلسلة محاضرات لإلقاء الأضواء على العالم العربي بشكل عام.

كما يوجد مقر للجامعة العربية في فيينا، ونادٍ للمصريين لهما أثر في التعريف بالعرب وبالإسلام.

- في لندن: جمعية آداب اللغة العربية في لندن، التي أسسها الأستاذ أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ - ١٩٥٥م) وكان رئيسها المستشرق الدكتور (مارجليوث).

- في أمريكا: قسم لغات الشرق الأدنى وثقافاته، بجامعة «أنديانا» ويوجد كذلك - مثل هذا القسم في معظم جامعات أوربا.

٤ - مقالات في الصحف:

وقد استطاع المستشرقون شراء عدد من الصحف المحلية في بلاد الإسلام، وقد أعلنوا أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد آخر، ولم يترك المستشرقون صحفهم المحلية بل استغلوها في الدعاية للمسيحية وفي الهجوم على الإسلام.

ومن هذه الصحف في مصر، صحيفة (وطني) التي تعبر عن لسان الأقباط في مصر، وتعتبر القناة الإعلامية الخالصة للنصارى، وهذه التسمية لجريدتهم (وطني) تنم عن روح متحفزة للانقضاض

على مصر المسلمة بمجرد حصول الفرصة.

نعم.. إن الاستعمار أشاع بين من أعطوه آذانهم وقلوبهم أن المسلمين في مصر غرباء، طارئون عليها، ويجب أن يزولوا، إن لم يكن اليوم فغداً، وعلى هذا الأساس أسموا جريدتهم الطائفية (وطني)!

وقد كان الأولى بهم تقدير تسامح الإسلام معهم!!

- ومن هذا المنطلق شرع كثيرون من المعاصرين يناوش الإسلام والمسلمين، وكلما رأى عودة من المسلمين إلى دينهم همس أو صرخ: عاد التعصب، الأقباط في خطر[1] !!

٥ - عقد مؤتمرات لإحكام خططهم في تمزيق المسلمين وتشويه دينهم، وكانت هذه المؤتمرات تأخذ في الظاهر شكل بحوث عامة، ولكنها في الحقيقة موجهة وجهة تخدم الغرض العلمي الذي ينفع الغربيين، والغرض التبشيري والسياسي الذي يخدم الكنيسة والسياسيين معاً. كان أول مؤتمراتهم هو الذي عقد في باريس سنة ١٨٧٣م، وقد بلغت مؤتمراتهم إلى الآن أكثر من ستة وعشرين مؤتمراً، واشتركت مصر في بعضها، ويعقد في كل أربع سنوات مؤتمر للمستشرقين في ألمانيا، وتطرح في ساحته عشرات الموضوعات المرتبطة بالدراسات الشرقية أو الاستشراقية القديمة والحديثة، ويبلغ عدد المندوبين في هذه المؤتمرات عن الدول والجامعات والجمعيات العلمية المئات من الباحثين. ونضرب مثالاً على ذلك بمؤتمر عقد سنة ١٩٨٠م بمدينة (برلين) الذي قدمت فيه أبحاث متنوعة، كبحث عن منهج ابن عساكر في التأليف، وبحث عن

(١) الشيخ محمد الغزالي: قذائف الحق: ص ٥٧، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

أكاديمية الإمام أبي حنيفة للفقه الإسلامي، وبحث عن تاريخ (بخارى) عند ابن حبيب، وأبحاث أخرى مثيرة مثل بناء الكعبة كما أرادها الرسول، وجغرافية القدس أثناء العصر المملوكي، وغزو الكعبة، والمتصوفة والفقهاء، والتصوف والسياسة، والمؤسسات الدينية في المغرب العربي.

وكان من أبرز المستشرقين: (فريتنر شتيبات) الذي قدم بحثاً عن التيارات السياسية المعاصرة في الدول الإسلامية أنصف فيه الإسلام من المحسوبين عليه المشوهين لصورته، وقد ألقاه في القاعة الكبرى لمكتبة برلين الحكومية بصوت جهوري ثابت:

«أيها المستمعون؛ ينبغي لنا أن نفرق بين المسلمين المعاصرين وبين الإسلام، فالإسلام دين عظيم يدعو إلى العزة والحرية والعدالة، والعلم والرُّقي»[1] .

٦ ـ **إنشاء موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية)** التي صدرت تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية، وقد ترجمت إلى عدة لغات، وتعتبر ـ للأسف الشديد ـ مرجعاً مأموناً لكثير من المثقفين عندنا، مع أن كثيراً من القائمين على تحريرها أدعياء علم أو أصحاب عصبية وهوى، ونذكر من هؤلاء:

ـ أ. كور. ج. هت كريموز (هولندي الجنسية كثير الطعن في الإسلام).

ـ و. هبنجتنج، هيوارت (وهو مشهور بتخبطه في عرض الإسلام).

---

(١) د. عبدالمتعال الجبري: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ص ٤٧ ـ ٤٩ بتصرف.

ـ ج. ووكر (وهو صاحب ملامح من التوراة في القرآن).

ومن محرري مجلة (العالم الإسلامي) التنصيرية، ولهم في تحرير هذه الموسوعة اليد الطولى.

ـ أدوين كالفلري (وهو أمريكي متعصب، وهو ممن باشروا التدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة) واتجاهاته التنصيرية سافرة.

ـ أ. أز الدرس (وهو قسيس متعصب).

ـ ألفرد كارلتون (وهو مدير كلية حلب، كما عمل نائب رئيس جمعية البعثات الأمريكية التنصيرية في الخارج)[1] .

---

(١) د. عبدالمتعال الجبري، ص ٤١، ٤٢ بتصرف.

الفصل الثالث
ميادين الاستشراق وآثاره

بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وتقاليده وجغرافيته وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية.

إن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه سمعة المسلمين.

ففي فرنسا لايزال شيوخ المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملون كخبراء في وزارة الخارجية للشؤون العربية وشؤون المسلمين.

وفي إنكلترا يوجد للاستشراق مكان محترم في جامعات لندن وأكسفورد وكمبردج وأدنبرة وجلاسكو وغيرها. ويشرف عليه يهود وإنكليز استعماريون ومبشرون وهم يحرصون على رفض أي رسالة للدكتوارة يكون مضمونها إنصاف الإسلام وكشف دسائس أولئك المستشرقين.

وغريب أنك تجد أساتذة المستشرقين في أوربا كانوا يعملون في الدول العربية الإسلامية وهم الآن يملأون السويد وهولندا وألمانيا

وأسكتلندة وغيرها.

ومما لا شك فيه أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية التي يتوافد إليها الطلبة المسلمون، فيجب أن تختار هذه الجامعات طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل وتمنحهم المنح الدراسية حتى تبيع لهم الشهادات بأي سعر ليكونوا مبشرين مجهولين.

إن الجامعات الغربية تعمل على استغلال جنوح الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات لكي تستغل هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافهم، وذلك باسم تهذيب المسلمين فتجد هذه الجامعات تمنحهم الشهادات العليا والألقاب العلمية لأقل بحث يكتبونه لجعلها شبكة مقنعة لاصطياد أبناء المسلمين وتسخيرهم لخدمة التبشير والنصرانية من حيث لا يشعرون، ويعودون إلى بلادهم وقد امتلأت نفوسهم غروراً، يضاف إلى ذلك ما تعرضوا إليه من تحول في السلوك نتيجة للبيئات الغربية التي أقاموا فيها خلال فترة التحصيل والافتتان بمظاهر الحضارة المادية التي شاهدوها[١].

ومن الآثار التي تركها المستشرقون والت يأثرت أكبر الأثر في حياة المسلمين عامة والعرب خاصة العمل على محاربة اللغة العربية ونشر العامية، فقد أدرك المستشرقون أن تقطيع أوصال المسلمين والعرب لا يمكن أن يتم لهم مادام هناك لغة واحدة تجمع العرب وتضم المسلمين، ومادام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين بتراثهم الماضي المجيد، لذلك رأى المستشرقون وضع خطة تهدف إلى:

---

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة، عبدالرحمن حبنكة، ص ٨٧.

١ ـ تشجيع كل قطر عربي على الكتابة باللغة العامية التي يتخاطب بها أفراده.

٢ ـ إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، وكان وراء هذين الهدفين أغراض قوية في نفوس المستشرقين، فقد كانوا يطمعون في انقطاع صلة العرب بأدبهم القديم وبالمؤلفات اللغوية والدينية والأدبية والتاريخية والفكرية، ثم قطع صلة العرب بالقرآن الكريم فتنكمش دائرة قراءته، ولا يبقى القرآن الكريم إلا ليقرأ في المساجد، كما تقرأ اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية!!

وأمنية المستشرقين أن يصبح القرآن كتاب دين لا صلة له بالحياة، فلا يقرأه إلا نفر قليل من المسلمين في المساجد من غير أن يفهموا عنه شيئاً ومن غير أن يشعروا بما فيه.

وجدير بالذكر أن ثقافة الإسلام تقوم على ركنين أساسيين:

١ ـ الدين بعلومه المختلفة وما يتبعها من علوم إنسانية.

٢ ـ اللغة بفنونها المعروفة.

لذلك سعت فرنسا في الجزائر إلى قطع العرب عن لغتهم بطردهم من المدارس والدواوين، واكتفت إنجلترا ـ على عادتها من الدهاء ـ بمحاربة الفصحى، فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها، فإذا نشطت العامية في كل قطر عربي انهزمت أمامها اللغة العربية الفصحى فاستحال التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة لكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار في الشرق وقوة الوعي عند العرب والمسلمين إذ وقفوا بالمرصاد لكل من سوّل له جهله أو هواه العبث بلغة الإسلام وإضعاف رابطة

العرب[١] .

إن المستشرقين يجاهدون لإنكار رسالة محمد ﷺ ويزعمون أن القرآن ليس بكلام الله عز وجل ويعلنون أن الإسلام دين ليس منزلاً وهم في سبيل ذلك يجادلون دون أن يملكوا أي مستند يؤيده البحث العلمي السليم وذلك رغم ما حققه أهلهم في الغرب من حضارة مادية وبذلك يصدق في حقهم قوله الله عز وجل: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ ﴾[٢] .

حصاد ظاهرة الاستشراق:

ويمكن بلورة الآثار العامة للحركة الاستشراقية وما وصلت إليه من نتائج، وما حصل حيالها من ردود أفعال فيما يلي:

١ ـ تبلور مصطلح الاستشراق واستخدم لأول مرة سنة ١٧٦٩م في قاموس أكسفورد، وأدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨م[٣] .

٢ ـ توطدت العلاقة بين الاستشراق والاستعمار، وأصبح الاستشراق طريقاً لاحتلال الشعوب الإسلامية، وأصبح المستشرقون موظفين في دوائر الاستخبارات في وزارتي الخارجية والمستعمرات.

٣ ـ جمع المستشرقون شملهم، ونسقوا جهودهم، وتجلى هذا الأمر في مؤتمر الاستشراق الدولي الذي عقد في باريس سنة ١٨٧٣م، وكان بعد ذلك يعقد كل سنة، ثم كل سنتين، ثم كل ثلاث أو

(١) كتاب التبشير والاستشراق، د. محمد عزت، ص ١٢٩ .

(٢) سورة غافر، الآية: ٤ .

(٣) رشا الصباح: الاستشراق ما له وما عليه، الأنباء الكويتية ١٤/٦، ٩/ ١٩٨٢م.

أربع[١] .

٤ ـ أنشئت الجمعيات الاستشراقية في مختلف البلدان، وكانت تدعو إلى عقد المؤتمرات الاستشراقية، وتضع لها جداول للعمل، وكان الفرنسيون أسبق من غيرهم في هذا، ففي سنة ١٧٨٧م أنشأوا جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى سنة ١٨٢٠م، وتألفت في لندن جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية سنة ١٨٢٣م، وأنشأ الأمريكيون جمعية باسم الجمعية الشرقية الأمريكية سنة ١٨٤٢م، وقد أدى إلى تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية.

٥ ـ ظهرت الدوريات التي تعبر عن الفكر الاستشراقي، ومازال بعضها يصدر حتى الآن[٢] ، ومن أشهر هذه الدوريات:
مجلة (العالم الإسلامي) في أمريكا وفرنسا.

٦ ـ دخل ميدان الاستشراق كل دول أوربا تقريباً، وظهر الاستشراق الأمريكي والروسي امتداداً للاستشراق الأوربي[٣] .

٧ ـ قام الاستشراق بتأسيس المراكز والمعاهد والكليات الخاصة بالدراسات الشرقية، ولا تكاد تخلو عاصمة أوربية أو أمريكية أو روسية من مركز أو معهد استشراقي.

٨ ـ ترجم المستشرقون كثيراً من التراث الإسلامي إلى اللغات الأجنبية، ومعظم ما ترجم خاصًّا بالأدب واللغة والدراسات التاريخية.

---

(١) ميشال جحا: الدراسات العربية والإسلامية ص ٢٧٨.
(٢) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٨٢.
(٣) محمد أسد: الاستشراق الروحي ص ٢٠، مجلة الأمة القطرية ع ٢٠.

٩ ـ رحل كثير من المستشرقين إلى العالم الإسلامي، وأقام بعضهم في ربوعة مدة، وكان منهم من يعمل جاسوساً ويزعم أنه مسلم[١] .

١٠ ـ تتلمذ كثير من طلاب المسلمين على أيدي المستشرقين سواء في داخل البلاد الإسلامية أو في خارجها. ومن تلامذة هؤلاء المستشرقين طه حسين وكان أضرَّ على الإسلام من مرحليوت وغيره.

١١ ـ تنافست الدول في إقامة المراكز والمعاهد الاستشراقية وتنافست كل الجامعات في أوربا وأمريكا في إنشاء الأقسام الخاصة بدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية[٢] .

١٢ ـ عكف المستشرقون على دراسة الإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً ولم يتركوا جانباً من جوانب الثقافة والحضارة الإسلامية إلا وكتبوا فيه، وقد بلغ ما كتب عن الشرق (٦٠٫٠٠٠ كتاب)[٣] هذا فضلاً عن البحوث والمقالات.

١٣ ـ كان من وراء النشاط الاستشراقي قوى متعددة توجه سياسته، وتغدق عليه، ومن ثم كانت هذه المرحلة أخطر مراحل الاستشراق، ففيها وقعت العقول في بلبلة فكرية، وأصاب النفوس غزو أخطر من الغزو العسكري.

١٤ ـ اعتبر الغرب أن الإسلام دين بشري، وأن المسلمين برابرة، وليس لهم دور إبداعي في التاريخ الحضاري[٤] .

---

(١) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي ٥٢.

(٢) مصطفى السباعي: السنة ومكانتها ٢٧.

(٣) د. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي ٥٤.

(٤) محمود زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية ٩٨.

١٥ ـ كان ضعف العالم الإسلامي وخضوعه للاحتلال المسيحي من العوامل التي ساعدت على تصوير الإسلام في صورة الدين الذي لا يصلح للحياة.

١٦ ـ كان هناك من يمثلون استثناء في الموقف المضاد للفكر الإسلامي، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الشجاعة الأدبية والأمانة العلمية.

١٧ ـ أما ردّ فعل النشاط الاستشراقي بين المثقفين المسلمين فإنه كان متفاوتاً، حيث إن كثيراً منهم، وبخاصة أولئك الذين تعلموا في المدارس الرسمية أو الأجنبية، أو سافروا لطلب العلم على أيدي المستشرقين في بلادهم، إما إيماناً به أو محاولة للظهور بمظهر التجديد ومواكبة العصر في التفكير والبحث العلمي.

١٨ ـ تميزت الأبحاث الاستشراقية مؤخراً بأمرين هما:

ـ خدمة السياسات الغربية.

ـ إفقاد الإسلام طابعه الثابت عن طريق ما يسمى بتطوير الإسلام أو توحيد الحضارات.

فالاستشراق البريطاني لجأ إلى انتهاج أسلوب جديد، دلت عليه دراسة عرفت بتقرير (أسكار بورو) وفحواه دراسة جديدة غير خاضعة للخرافات من أجل المحافظة على الصداقة والتعاون وزيادة التفاهم بين بريطانيا وشعوب الشرق الأوسط ودول آسيا.

ويصدر في ألمانيا كتاب ضخم تحت عنوان (عقائد الإسلام) للمستشرق (هرمان اتيبجلكر)، وقال في خاتمته: إننا يجب أن نكسب وجهات نظر جديدة لعقائد المسيحية بناء على فهمنا العميق للتعاليم

الإسلامية[1] .

ونحن هنا نؤكد أن تعايش العقائد وتعاصرها على امتداد التاريخ حقيقة إنسانية اعترف الإسلام بها منذ جاء، وبالتالي فإن ما يسمى بالنظرة الواحدية للتاريخ، أو الوحدة العالمية المرتقبة، أمر لم يسع الإسلام إليه، باعتباره مطلباً خارجاً عن نواميس الكون، وتخديراً (طوباوياً) يشبه أحلام صانعي المدن الفاضلة في التاريخ.

لكن الذي يؤمن به المسلمون ويسعون بكل جهدهم إليه هو أن تضع عقائد الأرض أسساً موضوعية للبحث والحوار فيما بينها، وأن يكون أسلوب الحوار العقلي الهادىء الذي ينشد الحقيقة ـ وحدها ـ هو الطريق الذي يسير فيه الجميع، وأن تكون الوسائل شريفة مطابقة للغايات الشريفة. لأن العقائد الصحيحة لا يمكن أن تلجأ إلى أساليب كريهة، تنفّر الناس وتصطدم مع الفطرة وتشوّه الغايات.

ونحن المسلمين، عندما كنا أصحاب حضارة متفوقة مسيطرة ـ كان بإمكاننا ـ لو كان ذلك جزءاً من ديننا أن نظل في حرب مع الناس حتى نرغمهم على عقيدتنا، لكن وجود أقليات غير إسلامية عاشت، ولاتزال تعيش، أطيب حياة في كل بلد إسلامي دليل قوي على أننا نحن المسلمين لم نفعل ذلك، بل شهد تاريخنا أن التسامح كان صفة أصيلة في كل سلوكنا.

وبناءً على هذا، فإن ما بيننا وبين العقائد في الأرض قديماً وحديثاً، إنما هو تعايش مسالم ـ من جانبنا ـ وهو بحث عن الحق، وإيمان بالبقاء للحق وحده[2] .

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر الغربي ٢٣.

(٢) د. عبدالحليم عويس. ثقافة المسلم، ص ٦٥ ـ ٦٧.

ولكن لما أخذ المسلمون في التخلي عن حقائق دينهم أصبحوا في موقع المدافع، وتأخروا في مضمار الحضارة، فصاروا قصعة يتقاسمها الأعداء، بعد أن كانتا تسبقهم سمعتهم الطيبة فتغزوا القلوب بلطفها، وصاروا بين شقي رحى لا تبقي ولا تذر، واستخدم عدوهم في إقصائهم عن دينهم كل وسيلة غير كريمة ولا شريفة، من تبشير نصراني لا يعرف الحوار ولا الحجة ولا البرهان، وإنما يقهر الشعوب بالمدفع الاستعماري وبالغزو الفكري المشوّه المشبوه، وهو في سبيل أهدافه يتعاون مع كل قوى الشر في العالم صهيونية أو وثنية يهودية تتعاون مع النصرانية التبشيرية في هذا الغزو، لا تؤمن بالله، بل إنه قد تعاون ـ وهذا من أغرب الأشياء ـ مع الشيوعية الجدلية اللادينية التي لا تقل عن جحافل التنصير خبثاً وسفكاً لدماء المسلمين وتهجماً على عقائدهم حتى أسقطها الله بعد أن كانت تزعم أنها (حتمية).

ولسوف تهوي كل العقائد الباطلة مثلما هوت الشيوعية... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون!!

الباب الثالث

الاستعمار



التعريف بالاستعمار

التبشير والاستشراق دعامتان من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار وخدام لسياسته، وإن ظهروا بوجوه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد منه، فقد تقاسم التبشير والاستشراق والاستعمار جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام، فحمل الاستشراق أعباء العمل في ميادين المعرفة الأكاديمية وحمل التبشير أعباء الدعوة الجماهيرية حتى إذا تمكن الفريقان من تحقيق أهدافهما تمكن الثالث (الاستعمار) من غزو بلاد المسلمين دون عناء يذكر، وكلمة استعمار مأخوذة من العمارة. قال تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾. والمستعمرون لما عرفوا أوضاع المسلمين ودرسوا أحوال بلادهم وما فيها من خيرات يمكنهم استغلالها لصالحهم، وتسخير طاقاتهم البشرية في خدمة أهدافهم الاستعمارية.

لقد كان للامتداد الإسلامي في قلب العالم النصراني أثر كبير في نفوس النصارى، فقد تحررت معظم البلدان العربية التي كانوا يتخذون منها بقرة حلوباً، وفتح المسلمون بيت المقدس وأنطاكية والرَّها، بل وأصبحوا على مشارف القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية.

من أجل ذلك أعد النصارى عدتهم مرة ثانية وجاءوا إلى العالم الإسلامي، يحاولون إطفاء نار غلّهم وحقدهم على هذا الدين الجديد، الذي يسير في الناس مسرى الأمواج الهائجة في مجاريها

المعبدة[١] .

فقد قامت الكنيسة البيزنطية الشرقية (الأرثوذكسية) بمحاولات للهجوم على العالم الإسلامي بدأها الإمبراطور قسطنطين السابع، وقام بقيادتها (يوحنا تزيمكسس) الذي قاد حملة سنة ٩٧٢م واستولى بها على مدينة نصيبين وحقق بعض الانتصارات لظروف مرّ بها العالم الإسلامي، إلا أن المسلمين وحدوا قواتهم ونادوا في الناس بالجهاد فهزموا البيزنطيين في كثير من المعارك، واستمرت الحرب بينهما سجالاً إلى أن جاءت الحملات الصليبية من الغرب الكاثوليكي، وكانت حملات حاقدة على الإسلام والمسلمين لا هدف لها إلا شيء واحد هو القضاء على الإسلام ولا أدل على ذلك من أن القسيسين والأحبار والرهبان هم الذين أشعلوها، وهم الذين تقدموا الصفوف فيها.

أما عن الحملة الصليبية الأولى فقد حرض عليها البابا (أريان الثاني) سنة ١٠٩٥م بخطبة ألهب فيها مشاعر الحقد والكراهية عند النصارى تجاه الإسلام وتحركت الحملة الأولى، يتقدمها رجال الدين النصراني، وعلى رأسهم (بطرس الناسك) و(جوتييه المعدم) و(جود باسكال) وما إن وصلوا إلى ميدان القتال حتى أبادهم المسلمون عن آخرهم حيث مات منهم ثلاثمائة ألف قتيل[٢] .

ثم جاءت الحملة الثانية بجيوش جرارة، فاستولت على بيت المقدس وقتلت سبعين ألفاً من المواطنين الآمنين، وقد استغلت هذه

---

(١) د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص ٢٠، طبع دار الأرقم بالزقازيق ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) محمد سليمان النبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم ص ٣٥.

الحملة فرصة تفكك العالم الإسلامي حيث انقسمت الخلافة العباسية على نفسها إلى إمارات متناحرة[١] ثم قيض الله من دافع عن بيضة الإسلام من غير العرب، ووحدوا المسلمين وانتصروا في معارك كثيرة على الصليبيين الذين لا يسأمون من الغارة على العالم الإسلامي، حتى كانت حملة لويس التاسع الفاشلة على مصر من ناحية دمياط.

ولم تكن الهجمة التترية على العالم الإسلامي سنة ٦٥٦هـ إلا حملة نصرانية جديدة، أعان عليها (لويس المهزوم) بدليل أن التتار كانوا يتحاشون مواقع الصليبيين في العالم الإسلامي مثل (أنطاكية ـ يافا ـ عكا) كما أن والدة هولاكو كانت نصرانية وكذلك زوجته[٢] .

وبعد ذلك قامت الخلافة العثمانية بالقضاء على سلطان النصارى حتى في عواصمهم مما جعلهم يعدلون عن أسلوب القوة فترة، ولما هزم الأتراك في موقعة (سان جوتارد) في حصار فيينا سنة ١٦٦٨م حتى بدأ النصارى يفكرون في أسلوب استخدام القوة العسكرية للمرة الثالثة، ولكن في هذه المرة خدمتهم الظروف أكثر.

ففي سنة ١٨٧٥م استولت إنجلترا على الهند وأزالت دولة المغول الإسلامية التي أسسها (تيمورلنك) وفي سنة ١٨٨٢م احتلوا مصر، وفي سنة ١٩١٤م احتلوا العراق، وفي سنة ١٩١٧م احتلوا فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

ثم قامت فرنسا باحتلال سوريا ولبنان والجزائر وتونس، كما قامت القيصرية الروسية بالاستيلاء على كثير من البلاد الإسلامية

---

(١) الشيخ محمد الغزالي: هموم داعية، ص ٣٥.

(٢) د. سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٣، ٢٤.

منها: القرم، والقوقاز، وأذربيجان، والتركستان، وسيبيريا، وبخارى، ومازالت هذه الممالك حتى الآن ترزح تحت نير الاستعمار الروسي على الرغم من أنها جمهوريات إسلامية[١] .

وهكذا وقع العالم الإسلامي فريسة للغزو النصراني الحاقد، وعلى الرغم من أن المؤرخين حاولوا أن يصوروا هذه الحروب على أنها حروب استعمارية بحتة تهدف إلى السيطرة الاقتصادية إلا أننا نقول: إنها كانت حروباً دينية، المحرك الأول لها هو الثأر من الإسلام والمسلمين، فقد كان لهزيمتهم المرة في الحروب الصليبية أبعد الأثر في نفوسهم، حتى إن اللورد اللنبي قائد الجيوش النصرانية في الحرب العالمية الأولى حين دخل فلسطين سنة ١٩١٧م قال عبارته الشهيرة: (اليوم انتهت الحروب الصليبية)، كما أن القائد (غورو) بعد أن تغلب على جنود العثمانيين في معركة ميسلون عند دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين ـ الذي أذلهم في الحروب الصليبية ـ وركله بقدمه قائلاً: «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين».

وهذا ما أكده (يوجين روستو) مستشار الرئيس الأمريكي السابق (جونسون) حين قال: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية[٢] .

وقد آثرنا أن ننقل هذه النصوص بعد هذه اللمحات التاريخية لكي نؤكد على خطأ هؤلاء الذين خدعونا فصوروا حروب النصارى على أنها مجرد حروب استعمارية، وقد كان هذا الخداع حتى لا

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة ص ٢٠ ـ ٢٥.

(٢) جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله ص ٢٦ وما بعدها.

تتحرك العاطفة الدينية عند المسلمين فيهبوا للدفاع عن دينهم؛ لأنه يهدد مصلحة النصارى ويحول دون المد التبشيري في ديار المسلمين.

وعلى الرغم من أن المعركة العسكرية بين المسلمين والنصارى لم تكن متكافئة إلا أن المسلمين واجهوا المعركة بقوة، واستطاعوا إجلاء النصارى عن العالم الإسلامي[١] .

ولذلك راح الاستعمار يبث سمومه في ميراث المسلمين الروحي الذي يبعث فيهم الحمية، ويستنهض فيهم الهمم، فنشر الاستعمار فكرة التبشير والاستشراق، لتشويه الدين والتاريخ، وراح يبني المؤسسات التي تخدم هذه الفكرة الاستعمارية الخبيثة في العواصم الكبرى من العالم الإسلامي، مستغلين ما وصل إليه كثير من الشعوب الإسلامية من فقدان الوعي الإسلامي العام، وعزوف الناس عن المعارف والعلوم الدينية والكونية، واشتغالهم بالخلافيات الفرعية، والمهن التقليدية، دون أن يُدخلوا عليها شيئاً من التطوير والتحسين، وساعد المستعمر على ذلك أيضاً المؤامرات التي تدبر ضد المسلمين في المحافل الدولية الكبرى ويستخدم في تنفيذها أعوانه من الخونة والمنافقين داخل بلاد المسلمين[٢] .

وما أكثرهم في العقود الأخيرة التي هيمنت فيها الصهيونية الإسرائيلية والعولمة الأمريكية!!

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة ص ٢٦، ٢٧.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة: ص ١٢٢.

أهداف الاستعمار ووسائله

أولاً: أهدافه:

من الأمور التي أصبحت معروفة في أسباب الحروب الصليبية أنها وإن كانت في ظاهرها دينية غايتها تخليص بيت المقدس من يد المسلمين، بينما كانت في حقيقتها سبيلاً للسيطرة على الشرق الإسلامي بما فيه من خيرات اقتصادية ومراكز حربية.

ودعاة الاستعمار العسكري الخالص كدعاة الاستعمار المستتر بالتبشير، سواء بسواء لا يرعون للناس عهداً ولا يحفظون لهم كرامة.

من ذلك يتضح أن الغزاة المستعمرين يلتقون مع المبشرين والمستشرقين على محاربة الإسلام ومقاومة دعوته وهدم أبنيته.

وسبب التقائهم على محاربته واضح لا يحتاج إلى تأمل، فالإسلام بمنهجه الشامل هو الطاقة الدافعة لأبنائه، وهو الجدار الذي يقف دون أطماع الصليبية والاستعمار، لذلك كان هدفهم الحقيقي هو هدم الإسلام.

ولقد عقدت عدة مؤتمرات، ودار جدل طويل، حول الأسلوب الجديد الذي يجب اتباعه للغارة على العالم الإسلامي، ثم تمخضت هذه المؤتمرات وهذا الجدل عن الإيمان بمعادلة واضحة:

«إذا كان هدف الغرب من القضاء على المسلمين هو القضاء على الإسلام وقوته السياسية والمعنوية... فلماذا لا يتجه الغرب مباشرة للقضاء على الإسلام.. وهو الطاقة المحركة للعالم الإسلامي، وبهذا يبقى المسلمون بلا طاقة محركة.. أي منطقة فراغ

يمكن ملؤها بأي طاقات أخرى كالمسيحية أو الشيوعية».

وكانت هذه المعادلة هي المنهج الذي سار عليه الغرب منذ ارتداد الجيوش الصليبية وحتى اليوم... ولم يكن صدامه المباشر مع المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين إلا مرحلة تأكيدية للقضاء على الإسلام وعلى قوته النوعية... على أنه في مرحلة الاستعمار العسكري هذه كان يستغل انتصاراته التي كان يطوق بها العالم الإسلامي من أطرافه... فيتبعها فوراً بمخطط تبشيري يقضي به على ما قد يبقى لدى المسلمين من طاقة إسلامية محركة... كانت ـ كذلك ـ السفن البحرية تطوق العرب وتفرض شبكة من التجسس حول العالم الإسلامي تسرق حضارته وتفتت ركائز قوته.

طافت هذه السفن حول إفريقيا تقيم أكبر سوق للرقيق في تاريخ البشرية وتغير على الأطراف البعيدة للعالم الإسلامي.. أندونيسيا، الفلبين، الملايو، الهند... إلخ إلى جانب التوسع الروسي في آسيا المسلمة.

وقد وصف (أرنولد توينبي) نهاية هذه المرحلة، أي مرحلة التطويق بقوله: «وهكذا في لمحة البصر اختطف البرتغاليون من أيدي العرب السيادة البحرية على المحيط الهندي، وبينما كان الرواد البرتغاليون يحدقون شرقاً بالعالم الإسلامي كان التوسع البحري الغربي يحدق من الجنوب كما كان ملاحو الأنهار من القوقاز يتجهون شرقاً ويوسعون حدود العالم الروسي بنفس السرعة والاكتساح، وذلك بإحداقهم بالعالم الإيراني من الشمال!!

وهكذا، كما يقول (توينبي) في غضون فترة تقل عن قرن لم يقتصر الأمر على الإحداق بالعالم الإسلامي الذي كان شركة بين

المجتمعين العربي والإيراني، ولكن أمكن تطويقه تماماً. . . «ففي القرن السادس عشر والسابع عشر وضع الطوق حول رقبة الفريسة».

«كما انقضى وقت طويل قبل أن يتنبه المسلمون أنفسهم إلى ما يجب عليهم عمله لمجابهة الموقف، وتبلور هذا العمل بالنسبة للجانبين الغربي والروسي في الانقضاض على فريسة عاجزة عجزاً واضحاً «واجبنا إلى جنب مع عملية التطويق كان التسلل داخل القلعة عن طريق المبشري. . أجل. . كانت عملية التطويق مستمرة»[١] .

٢ ـ ومن البواعث النفسية التي تحرض مجرى الحرب الصليبية على التسلط وغزو البلاد الإسلامية الرغبة الشديدة في تسخير الشعوب الإسلامية في الأعمال الاستثمارية أو الأعمال الحربية، ولا فرق بين أن يستخدموا هذه الشعوب في بناء المستعمرات واستصلاح الأراضي وتشغيل المصانع ـ بأجور زهيدة أو بغير أجور أصلاً ـ وبين استخدام هذه الشعوب في تحقيق مآرب حربية واستراتيجية من شعوب أخرى، وقد رأينا ـ في الحرب العالمية الثانية ـ أن بريطانيا تستخدم الجيش الهندي في تفجير الألغام التي وضعها الجيش الألماني بالصحراء الغربية في مصر!!

ـ ولا يظن ظان أن استخدامها للجيش الهندي استخدام لأدواته ووسائله الحربية، بل استخدام لأفراد الجيش أنفسهم، فكانت تقدم الأفراد، وكثير منهم ثبت أنهم مسلمون، ليمروا على الألغام فتنفجر فيهم توفيراً للحمير التي كانت أكثر ندرة من الإنسان الهندي أو لعلها كانت أغلى سعراً من هذا الإنسان في السوق البريطاني!!

ـ الرغبة الأكيدة في استغلال خيرات البلاد الإسلامية، فحين لا

(١) توينبي: مختصر دراسة التاريخ ج ٣ ص ٣١٩ ترجمة فؤاد شبل.

تتحقق لهم هذه الرغبة برضا أصحاب الأرض الشرعيين فإنهم لا يجدون سبيلاً إلى ذلك إلا عن طريق الظلم والعدوان بمصادرة الأرزاق وسلب الأرض.

ـ الرغبة في الانتقام تنفيساً عن الكراهية والأحقاد الموروثة، وقد تحدثنا من قبل عن هزيمة الصليبيين وما أحدثه ذلك من كراهية وحقد في نفوسهم ورغبة في الانتقام.

ـ وقد اجتمعت عدة بواعث نفسية تدفع مجرمي الحرب إلى غزو بلاد المسلمين، كتلك التي اجتمعت في المستعمرين والمبشرين والمستشرقين ضد الإسلام وعقيدته، فبينما نرى الجناح السياسي والعسكري للدول ذات الأطماع الاستعمارية يتجه نحو التسلط على الأرض نرى موكباً آخر يتمثل في جيش (التبشير) سائراً في موكب الغزو الديني كما نجد جيشاً ثالثاً سائراً في موكب الغزو العلمي والثقافي وهم المستشرقون.. وبذلك تجتمع الجيوش الثلاثة على تفتيت وحدة المسلمين وإضعاف قوتهم.

ثانياً: وسائل تحقيق تلك الأهداف:

١ ـ كانت السياسة الاستعمارية تلجأ إلى كل وسيلة خدمت مآربها، ولقد استغلت فيما استغلته رجال الدين الوطنيين في بلاد الشرق والأجانب الطارئين على الشرقيين، وقد تعجب حين ترى دولة علمانية كفرنسا تقاوم الدين والجماعات الدينية الأصولية النصرانية في بلادها في حين تشجعها وتساعدها في الخارج.

٢ ـ وبعد انتشار الإسلام في الشرق أصحبت الكنائس النصرانية قليلة كأنها جزر صغار في بحر متسع الأكناف، وكانت هذه الكنائس على قلتها متعادية ومتخاصمة، حتى إنها كانت تستعمل في صلواتها

وفي تخاطبها لغات مختلفة كالعربية والسريانية واليونانية، ومع الأيام بدأ هذا الخصام يزداد ثم تبعه انحطاط خلقي واقتصادي في الكنائس والأديرة.

لذلك كان أول ما فكر فيه المستعمرون والمبشرون هو إصلاح هذه الكنائس لتستعين بها على التبشير لكن سرعان ما تذكرت الدول الأجنبية أنها لم تأت بالتبشير لهذا الغرض فحسب بل إنها جاءت به للسيطرة السياسية وما التبشير إلا وسيلة إلى هذه الغاية.

لذلك كانت أول دراسة للمبشرين هي دراسة النواحي التي تخدم الاستعمار فأخذوا يدرسون الأحوال السياسية في العالم الإسلامي، فلما وجدوا هذه الأحوال على شيء من الاضطراب قالوا إن ذلك يشير إلى كثرة الأبواب التي أصبحت مفتوحة للعالم الإسلامي على مصارعها.

على أن أكثر الدول الأوربية نشاطاً تبشيريًا سياسيًا كانت فرنسا التي كانت تطرد الرهبان من سوريا ولبنان ثم تحتضنهم في الخارج ليحققوا لها شهواتها الاستعمارية.

٣ ـ إن المستعمر إذا نزل بلداً اتخذ أعوانه من الأقليات المستوطنة أو الطارئة. فعندما نزل المستعمرون بلاد الشرق الإسلامي استخلصوا الأرمن والأشوريين والمهاجرين من اليهود والروس واليونان والإفرنج ليقاموا بهم العرب.

٤ ـ إن المستعمر لا يختار موظفي الدولة من المسلمين، فالمسلمون يجب أن يكونوا أقلية في جهاز البلد الخاضع للاستعمار ثم إن المسلمين القليلين في جهاز الدولة لا تلقى إليهم مقاليد المناصب الرئيسية أبداً[1].

---

(١) كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، وعمر فروخ، ص=

٥ ـ حرص المستعمر على ألا يتفق أبناء الأقليات مع الأكثرية المسلمة في الشرق.

٦ ـ وجه المستعمر خطة لإفساد الأجيال الناشئة باعتبارها صحائف بيضاء لها قابلية التأثير لأنها أمة الغد فيستدرج أبناء المسلمين إلى معاقل جيوش الغزاة ولا سلاح في أيديهم فيفسدون أخلاقهم ويجعلونهم غرباء عن أوطانهم.

٧ ـ يسوق المستعمر مبررات كثيرة كاذبة لتغطية الأهداف الحقيقية لتحركاته ومن المبررات التي اصطنعتها الدوائر الاستعمارية كصور للاستيلاء على أمم وشعوب كثيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مزاعم التمدن والحضارة والتعليم والمساعدات الصحية والاجتماعية وكلها شعارات تخفي الغرض الحقيقي.

٨ ـ قد يفتعل المستعمر مثيرات الغضب لتأتي تحركاته الاستعمارية العدوانية في لباس المؤدب أو في لباس صاحب الحق المهضوم.

وهكذا تظل صور التسلط المادي المدنس بالمطامع والشهوات والغرائز والأحقاد بين باعث عدواني يحرضها وشكليات تستر هذه الأحقاد[1].

= ١٦٠ ـ ١٦٨.

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٧٨.

الفصل الثالث
ميادين الاستعمار وآثاره

أولاً: الميادين:

إن إنسان المدنية الحديثة قدّم أمثلة من الاستعمار مناظرة لما كان يقدمه إنسان القرون الأولى دون فروق جوهرية كبيرة، إلا الفروق التي تقتضيها وسائل العصر، فكل منهما قائم على استغلال الإنسان وإذلاله لأخيه الإنسان دون حق مشروع أو هدف مثالي.

وحين نبحث عن هذا العدوان وهذا الاستعمار نجد أنه لا دافع لهذا العدوان إلا الأنانية الشخصية أو الجماعية والمطامع النفسية الظالمة والنزوات القائمة في نفوس أفراد متسلطين أو شعوب أخذتها العزة بالإثم فنمت فيها أنانيات ومطامع ونزوات مشتركة فعمدت إلى تنفيذها باضطهاد شعوب أخرى وإذلالها واستعبادها.

ولما استقلت البلدان الإفريقية التي كانت خاضعة للاستعمار وضح لنا إلى أي حد كان الاستعمار يطوي عنا من أخبار تلك البلاد ثم وضحت حقيقة مهمة هي أن الاستعمار كان يعتقد أن الصابئين إلى النصرانية سيكونون أكثر ميلاً إلى الدولة الغربية لكن خاب ظنهم واتضح أيضاً مدى الصلة الوثيقة بين التبشير والاستعمار.

ففي المغرب العربي قسم المستعمر الفرنسي سكانه إلى قسمين مسلمين وأوروبيين ونقصد بالصنف الثاني أهل المشرق الذين يدينون بالنصرانية أو اليهودية وقد كان لهؤلاء الأوربيين مركز ممتاز في السياسة والإدارة والمجتمع. أما المسلمون فكانوا يعاملون معاملة

المستعبدين في كل شيء.

وفي السودان الشرقي حيث يتركز المسلمون وقد كانت الحكومة المصرية تحرم التبشير بين المسلمين هناك كما كان الرهبان يتعرضون للاغتيال وظل الأمر على ذلك حتى احتل الإنكليز مصر ثم كانت الحملة الإنجليزية المصرية على السودان لإخماد حركة المهدي فاتسع نشاط المبشرين في الخرطوم. أما جنوب السودان فكان ممنوعاً على المسلمين أن يدخلوه حتى يتاح للمبشرين المسيحيين أن يعملوا فيه بحرية، وقد كان الجنوب وثنيًا خالصاً غير أن الجنوب ظل ميدان صراع بين الحركة الإسلامية وبين الإرساليات التبشيرية المسيحية، ولا ريب أن استقلال السودان قد خفف كثيراً من أثر المبشرين في جنوب السودان.

أما المسلمون في الحبشة فقد لاقوا من الحكومة تعصباً دينيًا مقيتاً لدرجة أن الحكومة الحبشية استطاعت عن طريق القهر أن تنصِّر بعض المسلمين، إلا أن هذا الأسلوب لم يؤت ثماره، بل زاد من العداوة بين المسلمين والمسيحيين.

وتعجب حين تعلم أن النصارى أقلية في الحبشة لكن الاستعمار البريطاني خاصة هو الذي يدعم الأسرة المسيحية الحاكمة على كثرة من المسلمين يتكلم العديد منهم اللغة العربية.

وبعد الحرب العالمية الثانية أضاف الاستعمار البريطاني الأمريكي ظلماً جديداً إلى الظلم القديم فأضاف أرتيريا إلى الحبشة وأخضعها للأسرة المسيحية الحاكمة.

أما عن الاستعمار في آسيا فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن

الاستعمار في لبنان قد استثمر الطائفية في تحقيق أطماعه حتى أصبحت هذه الطائفية وليدة التغذية الاستعمارية الآثمة. وكان اهتمام فرنسا وتدخلها في لبنان يزداد كلما لمست ازدياداً في اهتمام بريطانيا بالشرق، فقد كانت لبريطانيا هي الأخرى مطامعها في هذا الجزء من العالم حين زاد اهتمامها بسورية خاصة عندما أصبحت الهند وشرقي آسيا محورين للثروة البريطانية الاستعمارية. بمثل هذا يحارب الاستعمار العرب والإسلام.

أما أشد ما نلقاه نحن المسلمين فهو أن المستعمر الصليبي يستخدم في هذا السبيل أفراداً منا أحياناً لا يتورعون عن تسخير الضمير وتقليب الحقائق رأساً على عقب[1]. إنهم المنافقون وخونة الإسلام الذين يحملون أسماء إسلامية لكن عقولهم وقلوبهم كافرة بالله ورسوله.

ثانياً: آثار الاستعمار:

الاستعمار هو الوجه المتمم للتنصير، وكما للتنصير آثاره التخريبية، فكذلك كان للاستعمار آثاره التخريبية في مجالات الفكر والاجتماع والسياسة.

ففي المجال الفكري: استطاع أن يفقد كثيراً من المثقفين توازنهم الفكري، وأصابهم بفقدان الثقة في تراثهم وحضارتهم، بل كوّن منهم جيشاً أميناً ينافح عن قضاياه في غيبته، ومحامياً (متطوعاً) لا يملّ من الدفاع عنه والتحذير من مخالفة منهجه وفلسفة حياته!!

وكانت هذه هي خطة المبشّر (المنصّر) الخبيث زويمر حين

(١) التبشير والاستعمار، د. مصطفى خالدي، وعمر فروخ، ص ١٥٣.

قال: «إن الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أعضائها. . إن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لا يقودها إلى سجن الصياد الماكر إلا فيل عملي أُتقن تدريبه ليتسلل بين القطيع فيألفه القطيع، لأن جلده مثل جلدهم، ويسمعون له لأن صوته يشبه صوتهم، فيتمكن من التغرير بهم وسوقهم إلى حظيرة الصياد»(١).

وكان هناك بعض اللادينيين العرب الذين صدرهم الاستعمار، وكان المسلمون هم الضحية، وكانت الحظيرة هي الفكر الاستشراقي التغريبي الذي وقعنا فيه.

ومن هؤلاء: سلامة موسى، وجورجي زيدان، وفرح أنطون، وشبلي شميل، ويعقوب صوف، وعلي عبدالرازق، وطه حسين، وأحمد أمين، وابنه (حسين) من بعده، وقاسم أمين، وتوفيق الحكيم، وأمين الخولي، وعاطف العراقي، وليوس عوض، وحسين فوزي، ومحمد التابعي، وكثير من الصحفيين في العالم الإسلامي.

وقد كان من لوازم الإعداد لهؤلاء المستغربين أن تسلطت عليهم الأضواء، أن تغنت بجهادهم ونضالهم أجهزة الإعلام التي استطاعت أن تخدر عقول الجماهير المغلوبة على أمرها، في الوقت الذي يهمل فيه الكتاب المسلمون الذين يمثلون الفكر المضاد للحركة الاستشراقية الماكرة(٢)!!

أما في الجانب الاجتماعي فكانت آثار الاستعمار مُرّة كالصبر والعلقم، حيث غرسوا في العالم الإسلامي النعرات القومية، فبعد أن

---

(١) جلال كشك: الغزو الفكري ص ١٣٣.

(٢) د. محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص ٤٨ ط بيروت، سنة ١٩٨١م.

كان العالم الإسلامي كله رجلاً واحداً، وقومية واحدة، أصبح قوميات ونزعات كثيرة متعارضة، ولم يكتف أعداء الإسلام بذلك، بل إنهم بعد فترة من إحياء النزعات القومية قسموا أرض المسلمين على أساس منها، إلى مجموعات مختلفة، وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية قسموا العالم الإسلامي إلى دول ودويلات وإمارات وصلت إلى سبعين وطناً ووضعوا بين كل دولة وأخرى حدوداً جغرافية، وبذلك ضاعت هيبة العالم الإسلامي، وأصبح أعداء الإسلام قادرين على ضرب كل دولة على حدة.

وهكذا أصبحت القوميات أداة فعالة لسيطرة أعداء الإسلام على البلاد والشعوب الإسلامية، ولتأليب بعضها على بعض بهدف إضعافها والإجهاز عليها جميعاً[١] !!

وأما في المجال السياسي، فقد بدأت الهيمنة على مقاليد الأمور في بعض البلاد الإسلامية عن طريق التدخل الخفي في أنظمة الحكم بإعداد طبقة من أبناء البلاد الإسلامية لتتسلم القيادة فيها، على أن يكونوا مجرد أدوات في يد الغرب النصراني، يقومون بخدمة مصالحه، وينفذون مخططاته في ضرب الصحوة الإسلامية؛ إذ إنهم يُختارون بدقة وإمعان!!

- فلابد أن يكونوا من المعجبين بالحضارة الغربية الراضعين من لبنها والمتربين على موائدها.

- ولابد أن يكونوا من أصحاب الاتجاهات المعادية للإسلام[٢] .

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام: ص ١٤٤، ١٤٥، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧١.

يقول (موريس ياكارني): «إن الكنيسة الكاثوليكية هي التي كوّنت معظم القادة السياسيين الذين حملوا لواء الاستقلال»[1] تحت راية الاشتراكية أو القومية أو البعثية اللادينية!!

بل إن الاستعمار الصليبي قد لجأ إلى خطة (بارعة) في بعض بلدان العالم الإسلامي، حيث ترك الشيوعية تضرب الإسلام، وأعانها ومكّن لها[2].

وكانت النتيجة أن شاعت أساليب غير أخلاقية بتأثير هذه الحكومات العملية، وكان لهذه الرذائل ردود أفعال منكرة، صارت فيما بعد عادات متأصلة في النفوس، لا تكاد تنفع معه موعظة أو يفلح معه تهديد.. بل أصبح الواعظ مثار التندر والسخرية أو محل الشك، وموطن الشبهة وسوء الظن.

وفشا الداء إلى الأسواق التجارية والعلاقات الأدبية بين الأفراد في البيوت والمؤسسات الخدمية والإنسانية والترفيهية.

ولابد قبل أن نختم هذا الفصل من الإشادة بالجهود الشعبية التي قام بها المسلمون بقيادة العلماء والدعاة المخلصين، ضد الاستعمار الغربي العسكري وما تبعه من الغزو الفكري؛ حتى ندرك أن هذه الأمة وإن طال نومها أو مرضها، فإنها لا تلبث أن تفيق وتنهض من كبوتها على يد (أولى البقية) الذين ينهون عن

---

(١) الحياة الكاثوليكية ص ٦٦.

(٢) الشيخ محمد الغزالي: الدعوة الإسلامية ص ٩٦، وانظر: احذروا الأساليب الحديثة ص ١٧٢ وما بعدها.

الفساد في الأرض.

ففي مصر نبعت مقاومة العلماء وطلبة العلم في الأزهر، حيث كانوا يبثون في المسلمين روح الجهاد والمقاومة بل كانوا يتقدمون الصفوف ويتلقون في صدروهم طلقات الرصاص دفاعاً عن دينهم وعقيدتهم.

وفي الهند وباكستان كانت المقاومة للمستعمرين يقودها أصحاب الاتجاهات الإسلامية مثل محمد إقبال وأبو الأعلى المودودي وأبو الحسن الندوي وغيرهم.

وفي ليبيا كانت المقاومة ضد الاستعمار الإيطالي يقودها محفظ القرآن المخلص (عمر المختار) ومعه الشيخ أحمد السنوسي وأتباعه.

وفي تونس كان الإسلام هو مصدر المقاومة للمستعمرين، وكم لاقت السلطة الفرنسية في الأعوام الأخيرة من ضربات موجعة خرجت من المسجد مشحونة بالمقاومة الشديدة للاستعمار الأوربي.

وفي المغرب كان محمد الخامس يعبر عن روح الإسلام وقوته في مقاومته للفرنسيين حتى قال (جي موليه) رئيس وزراء فرنسا السابق: (إن الحركة الإسلامية التي تتسع في أفريقيا هي التي تهدد الإمبراطورية الفرنسية في المغرب).

وفي الجزائر كان المجاهد المسلم (عبدالقادر الجزائري) يتقدم الصفوف، وقدم شعب الجزائر في هذه المقاومة مليون شهيد، حتى قال الكاتب الفرنسي (كوليت): إن الإسلام عنصر فعّال في دفع الجزائريين إلى طلب التحرر.

وفي فلسطين كان المحرك الأول للقلاقل في وجه المستعمر هو الإسلام، وكان علماء الإسلام هم قادة المعارك وهم الذين يعبئون الشعور ضد المستعمر النصراني[1] .

(١) احذروا الأساليب الحديثة ص ٣١، ٣٢.

الباب الرابع

العلاقة بين التنصير والأساليب الأخرى

العلاقة بين التنصير والأساليب الأخرى

إن العالم الإسلامي يتعرض لغارات فكرية وسلوكية، وصدق الرسول الكريم حين قال: «**يوشك أن تداعي عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»[١].

والغارات التي استهدفت العالم الإسلامي كثيرة، فبخلاف كيد النصارى نجد الصهيونية ونجد الاستعمار المتحالف مع الصهيونية والتنصير لنشر النظريات المعادية للإسلام.

فالصهيونية مثلاً حركة خبيثة هدامة تستهدف القضاء على المبادىء والقيم وكل ما هو غير يهودي، ومن مراحلها إقامة وطن لليهود في فلسطين المسلمة العربية، وأما بقية مراحلها فهي خدمة اليهودية العالمية حتى يصبح العالم كله مسلمون وغير مسلمين في قبضة اليهود وتحت سيطرتهم كما تزعم توراتهم التي زيَّفوها، وحين نتعرف على الصهيونية في حجمها الصحيح وعلى الخطر الذي تدبره للإسلام ولشعوب الأرض جميعاً سوف نلاحظ أن اليهود مصدر الفتن والثورات والأزمات الاقتصادية، حيث يمهد اليهود السبيل للانحلال الخلقي وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صور فرنسيات وإيطاليات ومن إليهن.

فهؤلاء النساء أصبحن ناشرات للخلاعة والتهتك في حياة المتزعمين لرؤوس الأمم.

هذه هي الصهيونية أهم ركيزة من ركائز الغزو الفكري للإسلام

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٤٨٣ رقم ٤٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

والمسلمين تتخذ إلى ذلك كل سبيل وتسعى في كل مجال مشوهة للإسلام، تاريخه وحضارته ومفسدة للأخلاق ومصطنعة للمشكلات والمتاعب ومثيرة للفتن والثورات، ومستقطبة للعديد من المسلمين تضمهم على وعي منهم أو غفلة إلى مؤسساتها ومنظماتها كالماسونية والروتاري والليونز، وشهود يهوه بحجة الأنشطة الاجتماعية والرياضية.

وقد كانت ولاتزال معملاً لتفريخ الأفكار والفلسفات الهدامة والمذاهب الضالة المنحرفة مع توجيه تلك الضربات إلى العالم الإسلامي وهي في سبيل ذلك تتعاون مع النصارى لدرجة أن كثيراً من اليهود يدخلون في أديان مختلفة عن دينهم خداعاً من أجل الوصول لأهدافهم[1].

ولما كانت اليهودية اللئيمة أم الشيوعية فإن الشيوعية برعاية أمها قد استطاعت أن تتجزأ أجزاء يحتفظ كل جزء بخصائص الأصل وإن كان قد نشب بين هذه الأجزاء صراع رهيب يراد منه القضاء على الإنسانية وليس على المتصارعين أنفسهم.

جاءت الشيوعية سنة ١٩١٧م وسيطرت على روسيا وعلى بعض الأقطار الإسلامية التي كانت تحت الحكم القيصري، ومع أن (لينين) أعلن للمسلمين أنه سيمنحهم الحرية إلا أنه كذب وغدر، ووجه إلى المسلمين أعنف الضربات حتى غادر الملايين أوطانهم فراراً بدينهم وحريتهم ولجأوا إلى الأقطار الإسلامية كالقارة الهندية وأفغانستان وإيران وبعض بلدان العالم العربي.

ولجأ عشرات الآلاف منهم إلى مكة المكرمة وإلى الطائف وإلى

---

(١) الغزو الفكري: د. علي عبدالحليم محمود، ص ١٣٣.

المدينة المنورة وازدحم حي [المسفلة] بآلاف اللاجئين من بخارى وطشقند والقوقاز.

وفي كل بلد دخلته الشيوعية كانت شديدة الوطأة على المسلمين، فعندما تحول الحكم في أثيوبيا (الحبشة) إلى الشيوعية ضربت المسلمين في المقاتل وضربت مسلمي أريتريا وكذلك فعلت في فيتنام الجنوبية وفي تركستان التي تقاسمتها الشيوعية الروسية مع الشيوعية الصينية وكذلك حينما استولت روسيا على أفغانستان مستعينة بالعناصر العملية حتى يمتد نفوذها لأكبر مناطق العالم الإسلامي كلما أمكنها ذلك[١].

وعلى مر الأيام زاد طمع الشيوعية في العالم العربي عندما فتح جمال عبدالناصر أبواب العالم العربي للشيوعية التي دخلته دخول الصديق وأصبح للشيوعية نشاط في كل أقطار العروبة والإسلام في أفريقيا ودول أمريكا اللاتينية.

أما أقطار الإسلام فهي أكثر أقطار الأرض تعرضاً لضرب الشيوعية حتى جاء دور أفغانستان فالتهمتها في بضعة شهور وضربت المسلمين الذين قاوموا الزحف الشيوعي ضرباً مدمراً فقد استعملت قنابل النابالم والغازات الخانقة المحرمة دوليًا ولم تبال بالقيم الإنسانية ولا استنكار العالم.

ويجب على العالم الإسلامي أن يتنبه لحقيقة هامة هي أن روسيا لم تغز أفغانستان إلا تمهيداً للانتقال إلى البحار الدافئة والخليج العربي ودجلة والفرات وقد أعدت العدة بإقامة أنظمة حكم شيوعية في بعض بلدان الجزيرة العربية وبلدان أفريقيا المجاورة لجزيرة

(١) كتاب الشيوعية: أحمد عطار، ص ٨.

العرب. وقد زالت الشيوعية من غير رجعة إن شاءالله، وكشرت الصليبية عن أنياب الحقد كما حصل في العراق.

وهذا كله يحتم على العالم الإسلامي بما فيه العرب أن يتحد ويستعد ويترك ما بين أقطاره من خلاف حتى لا يكون فريسة للعدو الحاقد المتربص.

أما المسلمون في روسيا نفسها فقد اختلف في عددهم بين الستين والمائة مليون، كما اختلفوا في عدد المساجد هناك، وقال بعضهم: إنها تبلغ خمسة وعشرين ألفاً. وحقيقة أنه في الربع الأخير للقرن وجدنا الإسلام يستيقظ وكانت يقظته تهديداً لمذاهب (الهدم) التي اتخذت لحرب الإسلام أساليب جديدة. فزعمت الشيوعية والنصارى واليهود أنهم مسلمون جاءوا بما سموه (تنقيح) الإسلام وأرادوا منه تفريغ الإسلام من محتواه الحقيقي الأصيل.

ومشاكل كل قطر عربي أو إسلامي في الواقع تشغله عن مشاكل القطر الآخر ولا يسعه أن يقدم معونة فعالة لأن الشرق والغرب يتحدان حينئذ في ضربهما.

وأصل فكرة الشيوعية شاذ غريب نجم عن تفاعل عناصر متعددة وأسباب مختلفة اجتمعت للشيوعية في أوربا الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن المصادفات العجيبة اجتماع العقلية اليهودية المتمثلة في (كارل ماركس) مع التعصب الإنجليزي للحرية الفردية والحرية الفكرية مع الثورات الفرنسية الكبرى مع الفلسفة الألمانية كلها تجتمع لتكون النظام الشيوعي. ولا شك عندنا أن الفكر اليهودي الناقم على

الإنسانية كلها هو أصل الفكرة الشيوعية التي تتفق معه في الأصل والمنزع[١] .

وتقتضينا المناسبة، حين نتحدث عن الشيوعية أن نذكر أن الإسلام ينفرد بسمات نفتقدها في غيره من الأديان، فالإسلام دين الإنسانية والأخلاق وطهارة النفس والعدالة والحق والخير والفضيلة والواجبات وهو الدين الذي يسوي بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير في الحقوق والواجبات ويساوي بين الجميع في فرائض التكاليف والعبادات ولا يميز فرداً على فرد إلا بقدر ما يفعل من الخير لنفسه ولمجتمعه وللإنسانية كلها، وليس واقع المسلمين في هذا العصر حجة على الإسلام الذي ابتعدوا عن تعاليمه وخالفوا مقتضياته وأولوياته .

فالإسلام يمكِّن الناس من مواجهة أحوالهم المختلفة وظروفهم المتطورة بما يناسبها دون جمود أو تعطيل لأنه يساير الحياة روحها ونظامها ووجودها .

أما الفكر الشيوعي فخلاصته أن الناس ليسوا أفراداً وإنما هم طبقات ولا عبرة بوجود الفرد ولا كيان للفرد إنما الكيان للطبقة .

وعندئذ يبدأ الصراع بين الطبقات الكادحة والطبقات المستغلة وهو صراع غير متكافىء لنقص الوعي عند الكادحين ولتظافر قوى المستغلين المتحكمين ذوي السلطة فيقومون بتخديرهم بالدين ونعيم الآخرة تارة وبالوطنية والنخوة القومية تارة أخرى كل هذه الأشياء أفيون لتخدير الجماهير الكادحة حتى تنام عن واقعها الأليم وترضى بالنعيم الموعود ! !

---

(١) كتاب الشيوعية : أحمد عبدالغفار عطار ، ص ٢٩ ـ ٣١ .

فلا مكان للعدل ولا وجود لمعناه فإن الصراع الطبقي حرب فناء وإفناء وليس منافسة رياضية يلتزم المتنافسان فيها بقواعد اللعبة ولوائح اتخاذ الرياضة المبنية على العدل والحق.

أما الإسلام فهو يرفض النظرة الشيوعية جملة وتفصيلاً؛ لأن الشيوعية مذهب مجرد من كل قوانين الضمير والأخلاق ولأنه مذهب جاء لهدم الأديان والقيم الإنسانية. ومنذ قامت الشيوعية والعالم يرى ويسمع عن ضحاياها بالملايين وعن المنفيين في روسيا إلى سيبريا وما قامت حركة شيوعية في أي بلد إلا على أنهار من الدم فالعنف والطغيان طابع الشيوعية وطبيعتها.

وموجز القول: إن الشيوعية نقيض الإنسانية، وهي العدو الأكبر للإسلام. فكما أن الشر لا خير فيه فكذلك الشيوعية لا إنسانية فيها على الإطلاق[1] .

(١) كتاب الشيوعية: أحمد عطار، ص ٦٣، ٦٧، ٧٠.

الخاتمة

أ ـ موقف المسلمين من التنصير.

ب ـ واجبهم نحو التنصير.



أولاً: موقف المسلمين من التنصير:

تقوم بين حين وآخر في مختلف البلاد الإسلامية نهضات إصلاحية تتبنى الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشر علومه لإبراز عنصر التآخي بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ولتوضيح قيمة الثقافة الإسلامية المفترى عليها من أجنحة التنصير الثلاثة، التبشير والاستشراق والاستعمار، ولتنقية هذه الأصيلة مما يلحقه بها دعاة التنصير.

وتجاهد هذه النهضات جهاداً مريراً حتى تتبنى مؤسساتها الصغيرة بالكفاح والعرق ولكن للأسف دون أن تلقى تأييداً أو مساعدة ذات بال من ذوي الغنى والسلطان. حتى إذا بدأت تقف على أقدامها وتنشط في تحقيق بعض غاياتها تفتحت عليها عيون أعداء الإسلام من النصارى وأعوانه. فتراقب أعمالها بدقة وتتابع تحركاتها. ثم تعمل على إحباط مشروعاتها بمختلف الوسائل المقنعة من داخلها ومن خارجها، وقد تدفع لمحاربتها هيئات أخرى من ضمن صفوف المسلمين كما يسلطون عليها بعض الدوائر ذات السلطة في الدولة.

وتكون محاربتها:

١ ـ بسد الموارد عنها حتى تصاب بالفقر المدقع فتتلاشى بنفسها أو تفسد غايتها الأصلية.

٢ ـ أو يدس فيها أعداء الإسلام عناصر سيئة تغري القائمين عليها بأنواع المغريات.

٣ ـ أو تسد أبواب العمل والرزق في وجه المنتسبين إليها.

٤ ـ أو تسليط أنواع الاتهامات ضد القائمين عليها حتى لا

يكونوا محل ثقة الناس.

وأخيراً قد يعملون على هدمها بشكل سافر وقح لا مبرر له بحال. وتتعاون أجهزة الغزاة كلها على ذلك مهما كانت فيما بينهما متنازعة المصالح أو مختلفة المبادىء وهكذا يعملون كلما نشطت حركة إسلامية واعية في بلد إسلامي، فأجهزتهم واقفة بالمرصاد لكل نشاط إسلامي صغيراً كان أو كبيراً، في الحين الذي تتلقى فيه المؤسسات التبشيرية المساعدات الضخمة من مختلف الدول الاستعمارية نجد الباحثين الإسلاميين يجمدون أقلامهم حينما تقف في وجوههم عقبات الشر أو تضطرهم ضرورات العيش إلى قتل أوقاتهم في أعمال الكسب التي تحجبهم عن التفكير الحر والإنتاج الرفيع.

ولو كانت المؤسسات الإسلامية تتلقى جزءاً من ألف مما تتلقاه المؤسسات التبشيرية لاستطاعت أن تخدم القضايا الإسلامية المختلفة خدمات جليلة.

إلا أن التجربة أثبتت أن بعض الدعاة المسلمين البسطاء الذين يعملون بدافع ذاتي من قلوبهم يعادل عشرات المبشرين المعدين إعداداً علميًّا عالياً وذلك لأن علماء المسلمين يثقون بالله العلي العظيم أنه لن يمكن عدوهم من النيل بتراثهم الإسلامي، لأنه تكفل بحفظ كتابه وبقي على المسلمين أن يتخذوا الخطط والوسائل لحماية تراثهم العظيم. إلا أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن معظم طلائع الأجيال الحديثة قد تأثرت بحملات الغزو الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي والسلوكي الذي غزانا به أعداء الإسلام بمختلف أشكاله، لذلك فإن العمل الإسلامي الحق يتطلب من طلائع

الوعي الإسلامي جهوداً علمية متزنة تتسم بطول الصبر وسعة الصدر وعدم استعجال النتائج والتخطيط للأمد البعيد وتكون بإشراف العلماء والولاة.

ولا ننسى نقطة هامة هي تبريد حرارة الخلافات الفقهية والعمل على تقريب وجهات النظر بطريق لا جدال فيها ولا مشاحنات عن طريق الكتابات المتسمة بالاعتدال والرفق واللين وعرض الحق مقترناً بالدليل دون إبراز صورة التعصب له مع ضرورة الانشغال بالرصد المتجدد لتحركات العدو، وفضح دسائسه[١].

ثانياً: واجب المسلمين نحو التنصير:

من العرض السابق يتبين لنا ما قام ويقوم به المبشرون والمستشرقون من تدبير المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين وتشويه الصورة المشرقة للدين الإسلامي الحنيف والرسالة المحمدية وذلك بنشر الأضاليل حتى يفقد المسلمون الثقة بأنفسهم فيعتقدون أن الإسلام هو سبب انحطاطهم وأن المبشرين والمستعمرين أصابع التنصير وتعاليمهم هي الطريق الوحيد لنهضتهم ورقيهم.

لكن سرعان ما استيقظ المخلصون من رجال الإسلام فأرشدوا إلى هذه الهاوية التي يكاد المسلمون يتردون فيها فبدأ المسلمون يحسون ويتألمون ثم وقفوا يعملون لطرد المستعمرين وأذنابهم من المبشرين وبعد ذلك اتجهوا إلى ماضيهم المجيد ورجعوا إلى كتابهم الرشيد فبدأت في كل قطر يقظة وفي كل أمة إسلامية نهضة ولكن هل نكتفي بذلك بحجة أن الإسلام له من القوة الذاتية ما يستحيل على أعدائه أن يؤثروا فيه لصفاء جوهره وقدسية تعاليمه وقوة حجته

---

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة: ص ٦١١ ـ ٦١٢ بتصرف.

وسلامة منطقه ـ الجواب ـ لا نكتفي بذلك.

إن واجب المسلمين يقتضيهم القيام بنشر الإسلام والدعوة إليه، ولأن الرسالة الإسلامية موجهة إلى البشر جميعاً وهي رغم ثرائها بالحجج والبراهين فهي دائماً في حاجة إلى من يقومون بعرضها بأسلوب يتحاشى مع كل بيئة ويتخذ من الوسائل ما يتوفر لكل عصر.

والقرآن الكريم قد أهاب بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن يبذل ما فيه وسعه لنشر الدعوة بين الأمم والمسلمون مأمورون تبعاً له ﷺ بحمل الشعلة وتبليغ الرسالة الإسلامية ويمكن تلخيص واجب المسلمين حالياً في مواجهة النصرانية وفي نشر الدعوة الإسلامية وفي اتباع الآتي:

١ ـ أن يتمسك المسلمون بالإسلام وآدابه حتى يضعوا المثل الكامل والقدوة الحسنة لجذب الناس إليه وهذه مهمة العلماء المسلمين والوعاظ وأئمة المساجد وأولياء الأمور والآباء والأمهات والعمل على ربط البيت المسلم بالمسجد.

٢ ـ مراجعة مناهج التعليم في مراحل التعليم المختلفة مما يجعلها تتلائم مع طبيعة العلوم الإسلامية واستيعابها مع الاهتمام بدراسة القرآن الكريم وحفظه حتى ينشأ جيل يفهم الإسلام ويتأثر بتعاليمه.

٣ ـ العمل على إزالة العوامل والأسباب التي فرقت بين المسلمين وجعلتهم أحزاباً مختلفة ومذاهب شتى سياسية واجتماعية وذلك يكون بالرجوع إلى جوهر الإسلام وعماده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأعمال الخلفاء الراشدين المهديين بعد رسول الله ﷺ.

يقول النصراني (فشر) إن الدين قد أمد حركة العرب بقوة ذاتية

أكسبتها الحياة والدوام، ولولا هذه القوة التي نشأت عن الرابطة الدينية الجامعة، لافتقر العرب إلى التكتل الذي لا تحدث الانتصارات بدونه، ولولا ما سرى بين العرب من روحية متسامية عن مجرد الشهوة للحرب والغنيمة، لما استطاعوا أن يظفروا برضى الشاميين والمصريين والفرس والبربر عن حكمهم[١] .

٤ ـ يجب على الحكومات الإسلامية أن تتجه نحو التشريع الإسلامي لأن فيه أسباب النهضة والرقي وأن تطهر قوانينها وتشريعاتها مما علق بها من قوانين ومواد أجنبية تختلف عن بيئتها وطباع أهلها، فإذا تحقق ذلك تحول المجتمع في فترة وجيزة إلى مجتمع إسلامي صحيح في نظمه وأخلاقه.

٥ ـ العمل على تطوير الكتب الدينية والمؤلفات الإسلامية حتى يظهر الإسلام بصورته الجميلة المبسطة السهلة؛ لأن الإسلام دين يخاطب العقل ولا يدعو إلى الانطلاق دون الإفادة من التجارب الحضارية الأخرى، بل يدعو إلى القراءة والعلم، فإن أول سورة نزلت في القرآن الكريم سورة العلق، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِی خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِی عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ یَعۡلَمۡ ۝٥﴾[٢] .

وما دام باب البحث والاجتهاد مفتوحاً أمام العلماء المتخصصين لذلك كان من اليسير حل المشكلات الكبيرة اجتماعية واقتصادية والتي تعرض لحياة الناس ولم تكن معروفة في العهد الإسلامي الأول بحيث لا نجعل للتنصير مدخلاً في حل مشاكلنا.

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة: ص ٣٠.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

٦ ـ تثقيف الدعاة المسلمين المزمع إرسالهم إلى الدول الأجنبية وتطوير مهمتهم حتى يكونوا على المستوى الذي يليق بالإسلام وأن يكونوا على دراية بكيفية نشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية على أوسع نطاق لأنه للأسف أغلب الدعاة أرسلوا فقط لتعليم الحساب والخط وقواعد الإملاء واللغة العربية.

٧ ـ إنشاء المنظمات الإسلامية المختلفة التي تخدم الإسلام على أن تكون مهمة هذه المنظمات منحصرة في النقاط التالية:

أ ـ كشف أساليب التبشير النصراني ومؤامرات المبشرين والمستشرقين أولاً بأول والرد عليهم وعلى افتراءاتهم وأضاليلهم ضد الإسلام والمسلمين ونشر هذا الرد على العالمين.

ولعل من أشهر الجهود في هذا المجال كتاب الأستاذ (جلال كشك): «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله» وكتاب «الغارة على العالم الإسلامي» لـ (شاتلييه) والذي ترجمه محب الدين الخطيب، وكتاب «تنصير العالم» الدكتورة (زينب عبدالعزيز) التي كشفت وناقشت خطاب الباب يوحنا بولس الثاني بشأن التبشير الكاثوليكي للعالم.

وكتابا الشيخ محمد الغزالي (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) و(صيحة تحذير من دعاة التنصير).

ب ـ القيام بالدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم وهذا يجب أن يحشد لها الشخصيات العلمية الواعية وأن توضع تحت تصرفها الإمكانيات الواسعة من المال ووسائل الإعلام والدعاية والنشر.

وأن تعمل الحكومات الإسلامية بتقديم المساعدات الفعالة لمنظمات الدعوة الإسلامية سواء داخل البلاد أو خارجها وكذلك

تشكيل جهاز نسائي للدعوة الإسلامية يضم خريجات الكليات الدينية الإسلامية للنفاذ إلى البيوت الإسلامية لإرجاع النساء المسلمات إلى تعاليم دينهن وبذلك لن تتمكن النساء المبشرات بالنصرانيات من النفاذ إلى عقيدتهن.

على الدول والحكومات الإسلامية إعادة النظر في مراكز التطبيب والتمريض كالمستشفيات والمستوصفات وكذا دور العلم من مدارس وجامعات وكذا الأندية الاجتماعية والرياضية وكذا دور الضيافة والنشر التي أقامها المبشرون.

تنظيم الدعوة الإسلامية ونشرها له ميدانان تربتهما من أخصب الترب لنمو الإسلام في أي مكان على سطح الأرض، وهذان الميدانان هما:

أ ـ نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين والذين لا دين لهم بل يعتنقون العادات والتقاليد وهؤلاء ينتشرون في آسيا وأفريقيا وأستراليا فيمكن دراسة طبيعة حياة هؤلاء الناس لاتخاذ الأسلوب المناسب لهدايتهم إلى نور الإسلام وإدخالهم حظيرة الإيمان بالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك الحسن من قبل الداعية المسلم بالمعاملة الرقيقة فضلاً عن إخلاصه في نشر الدعوة الإسلامية مع التعاون مع الغيورين من التجار والموظفين المسلمين المنتشرين في كل مكان فإن ذلك بإذن الله سوف يأتي بأحسن النتائج وفي وقت قصير بدخول هؤلاء الوثنيين ومن لا دين له إلى حظيرة الإيمان بالله واعتناق الإسلام لأن المتتبع لسير انتشار الدعوة الإسلامية في آسيا وأفريقيا يجد أن انتشار الإسلام في هذه الجهات يرجع إلى التجار المسلمين الذين تجولوا في المناطق التي يسكنها البدائيون الوثنيون لأن المسلم مبشر

بطبيعته وسلوكه القويم.

ب ـ عرض الإسلام ودعوته على الأمم النصرانية في أوروبا وأمريكا فإن تقدم العلوم وانتشار المعارف هناك لابد وأن يظهر ما يتميز به الإسلام من رقي في نظامه وسمو في تعاليمه وتشريعه. فلو اتجه إليهم كبار العلماء لوجد النصارى أن هذا الدين يتماشى مع حضارتهم وقوتهم المادية، فهو لا يتنافى مع العلوم التي حققوها، ولا مع التشريعات التي يسيرون عليها، بل سيجدون عند اعتناقهم له علاجاً شافياً لما يشعرون به من أمراض اجتماعية ونفسية، لأن الإسلام يقف بأحكامه ونظمه وقفة تتيح للنظم الاجتماعية المتناقضة أن تجد في الدعوة الإسلامية منقذاً لها من المادية التي تسيطر على القوتين اللتين تتنازعان العالم حالياً مادية الشيوعية ومادية الرأسمالية.

١٠ ـ يجب تحصين الدعوة الإسلامية وذلك بإنشاء هيئة إسلامية علمية في كل دولة إسلامية مع التنسيق فيما بينها وتكون مهمتها:

أ ـ إحصاء أغاليط وأضاليل المستشرقين وجمعها في سفر واحد يتضمن الردود المقنعة التي كتبت عليها.

ب ـ تعقب الكتب التي يصدرها المبشرون والمستشرقون والرد عليها.

ج ـ إيجاد حلول علمية لمشكلة إرسال البعوث العلمية التي ترسلها الجامعات العربية إلى بلاد الاستشراق في أوربا وأمريكا لأن هذه البعثات تعود محملة بالآراء الضعيفة الفاسدة ومن هنا تتسرب نظريات المستشرقين المغرضة إلى قاعة الدرس في الجامعات العربية

فتعمل على تحويل العقول والقلوب.

ولقد فطن الأزهر إلى خطر تلك البعثات فابتعد بمبعوثيه عن مدارس الاستشراق في أوربا وأمريكا اتقاء لشرها وضررها، فعلى الأقل يجب على الدول الإسلامي ألا تقوم بإرسال المبعوثين إلا بعد تمكينهم من إشباع عقولهم بالآراء السليمة والاطمئنان على عقديتهم فلا يكون هناك مجال لتسرب آراء المستشرقين[١].

وختاماً نُوجه لجنود التنصير كلمة صدق نقول فيها: إنه ليس بين الله وبين أحد من عباده نسب ولا قرابة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، فالناس كلهم عباده، ولكن لله أوامر ونواهي، وعلى مقدار اتباع العبد لتلك الأوامر واجتنابه لتلك النواهي يكون للإنسان نصيب من التقوى، وعلى مقدار نصيب العبد من التقوى يكون نصيبه من إكرام الله وتأييده. وما النصر إلا من عند الله يؤتيه من يشاء وفق حكمته. وحكمته قضت بنصر المؤمنين الصادقين، مهما اشتدت بهم الأحوال، ومهما طال الزمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧)﴾[٣].

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق: د. محمد عزت، ص ٣٦٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.

الملاحق

أولاً: فتاوى تتعلق بحكم بناء الكنائس في بلاد المسلمين، وحكم مشاركة الكفار في أعيادهم، وما يسمى بتقارب الأديان.

ثانياً: بيانات تحذر من حملات التنصير التي يتعرض لها العالم الإسلامي اليوم.



الفتوى الأولى: بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٤١٤هـ:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. . .

وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي/ رمضان محمد محمود حنفي والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٦١٨٧) وتاريخ ١/ ١٢/ ١٤١٣هـ. وقد سأل المستفتي أسئلة وبعد دراسة اللجنة لها أجابت عما يلي:

السؤال الأول: ما هو حكم الإسلام في رد السلام على النصراني وتشييع جنازته وتعزيته؟

الجواب: إذا سلم الكافر على المسلم فإنه يرد عليه بقوله: وعليكم. كما ورد ذلك في الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**». ولا يجوز للمسلم تشييع جنازة الكافر لأن ذلك من موالاته وموالاته حرام. وأما تعزيته فلا بأس بها إذا رأى المسلم المصلحة الشرعية في ذلك فيقول: أحسن الله عزاءك وجبر مصيبتك، ولا يقل وغفر لميتك لأن الاستغفار للمشرك لا يجوز.

* * *

الفتوى الثانية بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٤١٤هـ.

السؤال الثالث: ما حكم مشاركة النصارى في أعيادهم أفتونا مأجورين؟

الجواب: لا تجوز مشاركة النصارى ولا غيرهم من الكفار في أعيادهم لأن هذا من التعاون على الإثم والعدوان ومن إقرار المنكر

ومن موالاتهم، وقد قال الله تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أي لا يحضرون المنكر من أعياد الكفار وغيرها.

* * *

الفتوى الثالثة بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٤١٥هـ:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي/ الدكتور سالم سعود. والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (١٠٧٦) وتاريخ ١٧/ ٣/ ١٤١٥هـ. وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه: (إننا في أمريكا نحاول بذل ما نستطيعه للدعوة إلى الله على منهج السلف الصالح... وفي الآونة الأخيرة طرأ أمر خطير هام وهو انتشار لجنة التقارب بين الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية... يرسل مبعوث من كل فئة من هذه لمحاولة إغلاق الفجوة بين هذه الأديان الثلاثة والتقارب بينها، ويجتمعون في الكنائس والمعابد اليهودية، بل ويصلون صلاة مشتركة كما فعلوا حين حدثت مجزرة الخليل في فلسطين، ويحضر الاجتماع عدد لا يستهان به من أصحاب الأديان الثلاثة.

والسؤال هو: أنه يمثل المسلمين علماء أو من هم محسوبون على أهل العلم، وقد حدث بيننا مشادة في حكم الاجتماع في مثل هذه الاجتماعات، حتى أن علماء المسلمين يصافحون ويعانقون القاسوسة والرهبان، وليس هناك مجال للدعوة في مثل هذه الاجتماعات، بل هي على اسم اللجنة لتقارب الأديان الثلاثة، فهل

يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجتمع في مثل هذه الاجتماعات ويدخل الكنائس والمعابد اليهودية بل ويسلم ويعانق قسيساً أو راهباً؟ وللعلم فقد انتشر هذا الأمر على مستوى أمريكا، فنرجو أن ترسلوا لنا الحل لأننا رضينا بك حكماً بيننا لإخماد الفتنة على مستوى أمريكا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

أولاً: أصول الإيمان التي أنزل الله بها كتبه على رسله التوراة والإنجيل والقرآن والتي دعت إليها رسله عليهم الصلاة والسلام إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، كلها واحدة بشر سابقهم بلاحقهم وصدق لاحقهم سابقهم وأيده ونوّه بشأنه وإن اختلفت الفروع في الجملة حسب مقتضيات الأحوال والأزمان ومصلحة العباد حكمة من الله وعدلاً ورحمة منه سبحانه وفضلاً، قال الله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾. وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾. وقال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى

وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. وقال تعالى بعد ذكره دعوة خليله إبراهيم إلى التوحيد وذكر من معه من المرسلين: ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾. وقال تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾. وقال: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾. وقال: ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾. وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾. الآيات.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**». رواه البخاري.

ثانياً: حرف اليهود والنصارى الكلم عن مواضعه وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فغيروا بذلك أصول دينهم وشرائع ربهم من ذلك قول اليهود: «عزير ابن الله» وزعمهم أن الله مسه لغوب وأصابه تعب من خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فاستراح يوم السبت، وزعمهم أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، ومن ذلك

أنهم أحلوا الصيد يوم السبت بحيلة وقد حرمه الله عليهم وأنهم ألغوا حد الزنا، ومن ذلك قولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم: «يد الله مغلولة» إلى غير ذلك من التحريف والتبديل القولي والعملي عن علم. اتباعاً للهوى، ومن ذلك زعم النصارى أن المسيح عيسى عليه السلام ابن الله وأنه إله مع الله وتصديقهم اليهود في زعمهم أنهم صلبوا عيسى عليه السلام وقتلوه، وزعم كل من الفريقين أنهم أبناء الله وأحباؤه وكفرهم بمحمد ﷺ وبما جاء به وحقدهم عليه وحسدهم إياه من عند أنفسهم وقد أخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه وأقروا على أنفسهم بذلك. إلى غير ذلك من فضائح الفريقين وتناقضهم وقد حكى الله الكثير من كذبهم وافترائهم وتحريفهم وتبديلهم ما أنزل إليهم من العقائد والشرائع وفضحهم الله ورد عليهم في محكم كتابه قال الله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾. الآيات. وقال تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾. الآيات. وقال تعالى: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾. الآيات. وقال تعالى: ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما

هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ . الآيات. وقال تعالى : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنوا إلا قليلاً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾. وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق). الآيات. وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ الآيات. وقال: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق﴾. إلى غير ذلك ما لا ينقضي منه العجب من افترائهم وتناقضهم ومخازيهم وفضائحهم والقصد ذكر نماذج من أحوالهم ليبنى عليها الجواب فيما يأتي.

ثالثاً: مما تقدم يتبين أن أصل الديانات التي شرعها الله لعباده واحد لا يحتاج إلى تقريب كما يتبين أن اليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا ما نزل إليهم من ربهم حتى صارت دياناتهم زوراً وبهتاناً وكفراً وضلالاً ومن أجل ذلك أرسل إليهم رسول الله محمد ﷺ ولغيرهم من الأمم عامة ليبين ما كانوا يخفون من الحق ويكشف لهم عما كتموه ويصحح لهم ما أفسدوا من العقائد والأحكام ويهديهم وغيرهم إلى

سواء السبيل، قال الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾. وقال: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾. لكنهم صدوا وأعرضوا عنه بغياً وعدواناً وحسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين الحق، قال الله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق﴾. وقال: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾. الآيات. وقال: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾. الآيات. وقال: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة. رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ الآيات.

فكيف يرجو عاقل يعرف إصرارهم على الباطل وتماديهم في غيهم عن بينة وعلم حسداً من عند أنفسهم واتباعاً للهوى التقارب بينهم وبين المسلمين الصادقين. قال الله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾ الآيات. وقال: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم. ولن ترضى عنك اليهود

ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾.
وقال سبحانه: ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين﴾. الآيات. بل هم إن لم يكونوا أشد من إخوانهم المشركين كفراً وعداوة لله ورسوله والمؤمنين فهم مثلهم، وقد قال الله تعالى لرسوله في المشركين: ﴿فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون﴾. الآيات.
وقال له: ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين﴾.

إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا ما استقل يمان

ثم إن دين اليهود والنصارى قد نسخ ببعثة الرسول محمد ﷺ وأوجب الله على جميع أهل الأرض اتباعه من يهود ونصارى وغيرهم قال تعالى: ﴿والذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والإغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو

يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾. فإذا بقوا على دينهم وهو منسوخ فهو تمسك بالباطل وبغير دين فلا يجوز للمسلمين أن يتقاربوا معهم لأن في التقارب معهم إقراراً لهم على الباطل من ناحية وتغريراً بالجهال من ناحية أخرى والواجب فضح باطلهم كما فضحهم الله في القرآن والله أعلم.

رابعاً: لو قال قائل: هل تمكن الهدنة بين هؤلاء أو يكون بينهم عقد صلح حقناً للدماء واتقاء لويلات الحروب وتمكيناً للناس من الضرب في الأرض والكد في الحياة لكسب الرزق وعمارة الدنيا والدعوة إلى الحق وهداية الخلق إقامة للعدل بين العالمين ـ لو قيل ذلك لكان قولاً متجهاً وكان السعي في تحقيقه سعياً ناجحاً. والقصد إليه قصداً نبيلاً لإمكانه، وعظيم أثره، لكن مع المحافظة على إحقاق الحق ونصره فلا يكون ذلك على سبيل مداهنة المسلمين للمشركين وتنازلهم عن شيء من حكم الله أو شيء من كرامتهم، وهو أنهم على أنفسهم بل مع الإبقاء على عزتهم والاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والبغض لأعداء الله وعدم موالاتهم عملاً بهدي القرآن واقتداء بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾.

وقد فسر ذلك النبي ﷺ عملياً وحققه بصلحه مع قريش عام الحديبية ومع اليهود في المدينة قبل الخندق وفي غزوة خيبر، ومع نصارى الروم في غزوة تبوك. فكان لذلك الأثر العظيم والنتائج

الباهرة من الأمن وسلامة النفوس ونصرة الحق والتمكين له في الأرض، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، واتجاه الجميع للعمل في الحياة لدينهم ودنياهم فكان الرخاء والازدهار وقوة السلطان وانتشار الإسلام والسلام.

وفي التاريخ وواقع الحياة أقوى دليل وأصدق شهيد على ذلك لمن أنصف من نفسه أو ألقى سمعه واعتدل مزاجه وتفكيره وبرىء من العصبية والمراء ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الفتوى الثالثة برقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء : مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي :

أولاً: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى : (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يُتعبد الله به سوى (القرآن الكريم) قال الله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من

الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾.

ثالثاً: يجب الإيمان بأن (التوراة والإنجيل) قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم منها قول الله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولاتزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم﴾. وقوله جل وعلا: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾. وقوله سبحانه: ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾.

ولهذا فما كان منها صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعاً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾. فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال الله تعالى:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول امصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾. ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعاً لمحمد ﷺ وحاكماً بشريعته. وقال الله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل).

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾. وقال سبحانه: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾. وغيرها من الآيات.

خامساً: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافراً، وأنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والشمركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾. وقال جل وعلا: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾. وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».

ولهذا: فمن لم يكفّر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: (من لم يكفِّر الكافر فهو كافر).

سادساً: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى: (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة

خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾. وقوله جل وعلا: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾.

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾. ويقول جل وعلا: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

ثامناً: إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد فترضى بالكفر بالله عز وجل، تبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١ ـ فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الاثمة، والتشجيع عليها، تسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢ ـ لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد!! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣ ـ كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة: لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال، لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك، كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله) وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله، لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. بل هي: بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٦٢): «ليست ـ أي: البيع والكنائس ـ بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار».

عاشراً: ومما يجب أن يُعلم أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من

الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون﴾. أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون والله المستعان على ما يصفون. قال تعالى: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾.

وإن اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس فإنها توصي المسلمين بعامة وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان). ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم. نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا. وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ — عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

بكر بن عبدالله أبو زيد — صالح بن فوزان الفوزان

بيان هام بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٤١٨هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فغير خافٍ على كل من نور الله بصيرته من المسلمين شدة عداوة الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم للمسلمين، وتحالف قواهم واجتماعها ضد المسلمين ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم الحق دين الإسلام الذي بعث الله به خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ إلى الناس أجمعين، وإن للكفار في الصد عن الإسلام وتضليل المسلمين واحتوائهم، واستعمار عقولهم، والكيد لهم، وسائل شتى وقد نشطت دعواتهم وجمعياتهم وإرسالياتهم وعظمت فتنتهم في زمننا هذا فكان من وسائلهم ودعواتهم المضللة بعث نشرة باسم: «معبد أهل الكتاب في دولة جنوب أفريقيا» تُبعث للأفراد والمؤسسات والجمعيات عبر صناديق البريد في جزيرة العرب ـ أصل الإسلام ومعقله الأخير ـ متضمنة هذه النشرة برامج دراسية عن طريق المراسلة، وبطاقة اشتراك بدون مقابل في كتب «التوراة، والزبور، والإنجيل» وعلى ظهر هذه النشرة مقتطفات من هذه الكتب.

هذا، وإن من عاجل البشرى للمسلمين استنكار هذا الغزو المنظم، والتحذير منه بجميع وسائله، وكان من هذه المواقف المحمودة وصول عدد من الكتابات والمكالمات إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء آملين صدور بيان يقف أمام هذه النشرات ويحذر من هذه الدعوات الكفرية الخطيرة على المسلمين. فنقول وبالله التوفيق:

منذ أشرقت شمس الإسلام على الأرض وأعداؤه على اختلاف عقائدهم ومللهم يكيدون له ليلاً ونهاراً ويمكرون بأتباعه كلما سنحت لهم فرصة ليخرجوا المسلمين من النور إلى الظلمات، ويقوضوا دولة الإسلام، ويضعفوا سلطاته على النفوس، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى إذ يقول: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾. وقال سبحانه: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق. وقال جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾.

وكان من أبرز أعداء هذا الدين «النصارى الحاقدون» الذين كانوا ولايزالون يبذلون قصارى جهدهم وغاية وسعهم لمقاومة المد الإسلامي في أصقاع الدنيا، بل ومهاجمة الإسلام والمسلمين في عقر ديارهم لاسيما في حالات الضعف التي تنتاب العالم الإسلامي كحالته الراهنة اليوم، ومن المعلوم بداهة أن الهدف من هذا الهجوم هو زعزعة عقيدة المسلمين وتشكيكهم في دينهم تمهيداً لإخراجهم من الإسلام وإغرائهم باعتناق النصرانية عبر ما يعرف خطأً بـ«التبشير» وما هو إلا دعوة إلى «الوثنية» في النصرانية المحرفة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ منها براء.

وقد أنفق النصارى أموالاً طائلة وجهوداً كبيرة في سبيل تحقيق أحلامهم في تنصير العالم عموماً والمسلمين على وجه الخصوص ولكن حالهم كما قال الله سبحانه: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾. وقد عقدوا من أجل هذه الغاية

مؤتمرات عدة إقليمية و عالمية منذ قرن من الزمان وإلى الآن توافد إليها المنصرون العاملون من كل مكان لتبادل الآراء والمقترحات حول أنجع الوسائل وأهم النتائج ورسموا لذلك الخطط ووضعوا البرامج فكان من وسائلهم:

* إرسال البعثات التنصيرية إلى بلدان العالم الإسلامي والدعوة إلى النصرانية من خلال توزيع المطبوعات من كتب ونشرات تعرف بالنصرانية، وترجمات للإنجيل، ومطبوعات للتشكيك في الإسلام والهجوم عليه وتشويه صورته أمام العالم.

* ثم اتجهوا أيضاً إلى التنصير بطرق مغلفة وأساليب غير مباشرة ولعل من أخطر هذه الأساليب ما كان:

عبر التطبيب: وتقديم الرعاية الصحية للإنسان، وقد ساهم في تأثير هذا الأسلوب عامل الحاجة إلى العلاج وكثرة انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة في البيئات الإسلامية خصوصاً مع مرور زمن فيه ندرة الأطباء المسلمين بل فقدانهم أصلاً في بعض البلاد الإسلامية.

ومن تلك الأساليب أيضاً التنصير عن طريق التعليم: وذلك إما بإنشاء المدارس والجامعات النصرانية صراحة، أو بفتح مدارس ذات صبغة تعليمية بحتة في الظاهر وكيد نصراني في الباطن، مما جعل فئاماً من المسلمين يلقون بأبنائهم في تلك المدارس رغبة في تعلم لغة أجنبية، وأو مواد خاصة أخرى، ولا تسلْ بعد ذلك عن حجم الفرصة التي يمنحها المسلمون للنصارى حين يهدونهم فلذات أكبادهم في سن الطفولة والمراهقة حيث الفراغ العقلي والقابلية للتلقي، أيًّا كان الملقي!! وأيًّا كان الملقَى!! ومن أساليبهم كذلك التنصير عبر وسائل

الإعلام: وذلك من خلال الإذاعات الموجهة للعالم الإسلامي إضافة إلى طوفان البث المرئي عبر القنوات الفضائية في السنوات الأخيرة، فضلاً عن الصحف والمجلات والنشرات الصادرة بأعداد هائلة، وهذه الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة كلها تشترك في دفع عجلة التنصير من خلال مسالك عدة.

أ ـ الدعوة إلى النصرانية بإظهار مزاياها الموهومة والرحمة والشفقة بالعالم أجمع.

ب ـ إلقاء الشبهات على المسلمين في عقيدتهم وشعائرهم وعلاقاتهم الدينية.

ج ـ نشر العري والخلاعة وتهييج الشهوات بغية الوصول إلى انحلال المشاهدين وهدم أخلاقهم ودك عفتهم وذهاب حيائهم وتحويل هؤلاء المنحلين إلى عباد شهوات وطلاب متع رخيصة فيسهل بعد ذلك دعوتهم إلى أي شيء حتى لو كان إلى الردة والكفر بالله ـ والعياذ بالله ـ وذلك بعد أن خبت جذوة الإيمان في القلوب، وانهار حاجز الوازع الديني في النفوس.

وهناك وسائل أخرى للتنصير يدركها الناظر ببصيرة في أحوال العالم الإسلامي نتركها اختصاراً إذ المقصود هنا التنبيه لا الحصر، وإلا فالأمر كما قال الله عز وجل: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾. وكما قال سبحانه: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

تلك مكائد المنصرين وهذا مكرهم لإضلال المسلمين!! فما واجب المسلمين تجاه ذلك؟ وكيف يكون التصدي لتلك الهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين؟ لا شك أن المسؤولية كبيرة

ومشتركة بين المسلمين أفراداً وجماعات حكومات وشعوباً للوقوف أمام هذا الزحف المسموم الذي يستهدف كل فرد من أفراد هذه الأمة المسلمة كبيراً كان أو صغيراً، ذكراً أو أنثى وحسبنا الله ونعم الوكيل، ويمكننا القول فيما يجب أداؤه على سبيل الإجمال ـ مع التسليم بأن لكل حال وواقع ما يناسبه من الإجراءات والتدابير الشرعية ـ ما يلي:

١ ـ تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين من خلال مناهج التعليم وبرامج التربية بصفة عامة، مع التركيز على ترسيخها في قلوب الناشئة خاصة، في المدارس ودور التعليم الرسمية والأهلية.

٢ ـ بث الوعي الديني الصحيح في طبقات الأمة جميعاً وشحن النفوس بالغيرة على الدين وحرماته ومقدساته.

٣ ـ التأكيد على المنافذ التي يدخل منها النتاج التنصيري من أفلام ونشرات ومجلات وغيرها بعدم السماح لها بالدخول، ومعاقبة كل من يخالف ذلك بالعقوبات الرادعة.

٤ ـ تبصير الناس وتوعيتهم بمخاطر التنصير وأساليب المنصرين وطرائقهم للحذر منها وتجنب الوقوع في شباكها.

٥ ـ الاهتمام بجميع الجوانب الأساسية في حياة الإنسان المسلم، ومنها الجانب الصحي والتعليمي على وجه الخصوص إذ دلت الأحداث أنهما أخطر منفذين عبر من خلالهما النصارى إلى قلوب الناس وعقولهم.

٦ ـ أن يتمسك كل مسلم في أي مكان على وجه الأرض بدينه وعقيدته مهما كانت الظروف والأحوال، وأن يقيم شعائر الإسلام في نفسه ومن تحت يده حسب قدرته واستطاعته، وأن

يكون أهل بيته محصنين تحصيناً ذاتياً لمقاومة كل غزو ضدهم يستهدف عقيدتهم وأخلاقهم.

٧ ـ الحذر من قبل كل فرد وأسرة من السفر إلى بلاد الكفار إلا لحاجة شديدة كعلاج أو علم ضروري لا يوجد في البلاد الإسلامية، مع الاستعداد لدفع الشبهات والفتنة في الدين الموجهة للمسلمين.

٨ ـ تنشيط التكافل الاجتماعي بين المسلمين والتعاون بينهم، فيراعي الأثرياء حقوق الفقراء، ويبسطوا أيديهم بالخيرات والمشاريع النافعة لسد حاجات المسلمين حتى لا تمتد إليهم أيدي النصارى الملوثة مستغلة حاجتهم وفاقتهم.

وختاماً نسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجمع شمل المسلمين وأن يؤلف بين قلوبهم ويصلح ذات بينهم ويهديهم سبل السلام وأن يحميهم من مكائد الأعداء ويعيذهم من شرورهم ويجنبهم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن إنه أرحم الراحمين.

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه واردد كيده في نحره وأدر عليه دائرة السوء إنك على كل شيء قدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

بيان بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٤٢٠هـ
عن حكم الاحتفال بحلول عام ٢٠٠٠ الإفرنجي وما يتعلق به من أمور

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين والمحالة استفتاءاتهم إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٣٨٢٥) وتاريخ ٢١/ ٧/ ١٤٢٠هـ ورقم (٣٨٢٩) وتاريخ ٢١/ ٧/ ١٤٢٠هـ ورقم (٣٨٤١) وتاريخ ٢٢/ ٧/ ١٤٢٠هـ. ورقم (٣٨٤٧) وتاريخ ٢٢/ ٧/ ١٤٢٠هـ. ورقم (٣٩٦٢) وتاريخ ٢٨/ ٧/ ١٤٢٠هـ ورقم (٤٠٢٨) وتاريخ ٥/ ٨/ ١٤٢٠هـ. وقد سأل المستفتون أسئلة عن حكم الاهتمام بالألفية الإفرنجية والاحتفال بها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بها. نكتفي بذكر سؤالين منها:

ففي أحدها يقول السائل: (نرى في هذه الأيام ما تبثه وسائل الإعلام من رصد الأحداث والإجراءات بمناسبة حلول عام ٢٠٠٠ الميلادي وبداية الألف الثالثة والكفار من اليهود والنصارى وغيرهم يبتهجون بذلك ويعلقون على هذه المناسبة آمالاً، والسؤال يا سماحة الشيخ: أن بعض من ينتسب للإسلام صاروا يهتمون بذلك ويعدونها مناسبة سعيدة فيربطون زواجهم أو أعمالهم بها أو يقومون بوضع دعاية لتلك المناسبة على محلاتهم أو شركاتهم وغير ذلك مما يسوء المسلم فما حكم الشرع في تعظيم هذه المناسبة والاحتفاء بها وتبادل التهاني من أجلها شفهيًّا أو بطبع البطاقات.. إلخ. وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وجاء في سؤال آخر: (يستعد اليهود والنصارى لحلول عام

٢٠٠٠ حسب تاريخهم، بشكل غير عادي لترويج خططهم ومعتقداتهم في العالم وبالأخص بالدول الإسلامية.

وقد تأثر بعض المسلمين بهذه الدعاية فأخذوا يعدون لها العدة ومنهم من أعلن عن تخفيض على بضاعته بهذه المناسبة، ويخشى أن يتطور الأمر إلى عقيدة المسلمين في موالاتهم لغير المسلمين.

نأمل بيان حكم مجاراة المسلمين للكفار في مناسباتهم والدعاية لها والاحتفال بها وحكم تعطيل الأعمال في بعض المؤسسات والشركات بهذه المناسبة.

وهل فعل شيء من هذه الأمور وما شابهها، أو الرضى بها يؤثر على عقيدة المسلم)؟

وبعد دراسة اللجنة للأسئلة المذكورة أجابت بما يلي: إن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده هي نعمة الإسلام والهداية إلى صراطه المستقيم، ومن رحمته سبحانه أن فرض على عباده المؤمنين أن يسألوه هدايته في صلواتهم، فيسألوه حصول الهداية للصراط المستقيم والثبات عليها، ووصف سبحانه هذا الصراط بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس صراط المنحرفين عنه من اليهود والنصارى وسائر الكفرة والمشركين.

إذا عُلمَ هذا: فالواجب على المسلم معرفة قدر نعمة الله عليه فيقوم بشكر الله سبحانه قولاً وعملاً واعتقاداً وعليه أن يحرس هذه النعمة ويحوطها ويعمل الأسباب التي تحفظها من الزوال.

وإن الناظر من أهل البصيرة في دين الله في عالم اليوم الذي التبس فيه الحق بالباطل على كثير من الناس ليرى بوضوح جهود

أعداء الإسلام في طمس حقائقه، وإطفاء نوره، ومحاولة إبعاد المسلمين عنه، وقطع صلتهم به، بكل وسيلة ممكنة، فضلاً عن تشويه صورته، وإلصاق التهم والأكاذيب به، لصد البشر جميعاً عن سبيل الله والإيمان بما أنزله على رسوله محمد بن عبدالله ﷺ، ومصداق ذلك في قول الله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾. وقوله سبحانه: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾. وقوله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾. وقوله عز وجل: ﴿قل يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾. وقوله عز وجل: ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون﴾. وغيرها من الآيات.

ولكن ـ ومع ذلك كله ـ فالله عز وجل وعد بحفظ دينه وكتابه فقال جل وعلا: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. فالحمد لله كثيراً. وأخبر النبي ﷺ أنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة. فالحمد لله كثيراً، ونسأله سبحانه وهو القريب المجيب أن يجعلنا وإخواننا المسلمين منهم إنه جواد كريم.

هذا، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وهي تسمع وترى الاستعداد الكبير والاهتمام البالغ من طوائف اليهود والنصارى ومن تأثر بهم ممن ينتسب للإسلام بمناسبة تمام عام ألفين واستقبال

الألفية الثالثة بالحساب الإفرنجي لا يسعها إلا النصح والبيان لعموم المسلمين عن حقيقة هذه المناسبة وحكم الشرع المطهر فيها ليكون المسلمون على بصيرة من دينهم ويحذروا من الانحراف إلى ضلالات المغضوب عليهم والضالين.

فنقول:

أولاً: إن اليهود والنصارى يعلقون على هذه الألفية أحداثاً وآلاماً وآمالاً يجزمون بتحققها أو يكادون لأنها ناتجة عن بحوث ودراسات كما زعموا، كما يربطون بعضاً من قضايا عقائدهم بهذه الألفية زاعمين أنها مما جاءت في كتبهم المحرفة، والواجب على المسلم ألا يلتفت إليها ولا يركن إليها، بل يستغني بكتاب ربه سبحانه وسنة نبيه ﷺ عما سواهما. وأما النظريات والآراء المخالفة لهما فلا تعدو كونها وهماً.

ثانياً: لا تخلو هذه المناسبة وأشباهها من لبس الحق بالباطل، والدعوة إلى الكفر والضلال، والإباحية والإلحاد، وظهور ما هو منكر شرعاً ومن ذلك: الدعوة إلى وحدة الأديان، وتسوية الإلام بغيره من الملل والنحل الباطلة، والتبرك بالصليب، وإظهار شعائر الكفر النصرانية واليهودية ونحو ذلك من الأفعال والأقوال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلى الله، وإما استحسان بعض ما فيهما مما يخالف دين الإسلام أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالإسلام بإجماع الأمة، هذا فضلاً عن كونه وسيلة من وسائل تغريب المسلمين عن دينهم.

ثالثاً: استفاضت الأدلة من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة في

النهي عن مشابهة الكفار فيما هو من خصائصهم ومن ذلك مشابهتهم في أعيادهم واحتفالاتهم بها، والعيد: اسم جنس يدخل فيه كل يوم يعود ويتكرر يعظمه الكفار وهو مكان للكفار لهم فيه اجتماع ديني، وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة فهو من أعيادهم، فليس النهي عن خصوص أعيادهم، بل كل ما يعظمونه من الأوقات والأمكنة التي لا أصل لها في دين الإسلام، وما يحدثونه فيها من الأعمال يدخل في ذلك وكذلك ما قبله وما بعده من الأيام التي هي كالحريم له كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ومما جاء في النهي عن خصوص المشابهة في الأعياد قوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾. في ذكر صفات عباد الله المؤمنين. فقد فسرها جماعة من السلف كابن سيرين ومجاهد والربيع بن أنس: بأن الزور هو أعياد الكفار. وثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر». خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي بسند صحيح.

وصح عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أنه قال: «نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ: أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم». خرجه أبو داود بإسناد صحيح.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم. وقال أيضاً: اجتنبوا أعداء الله في عيدهم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة.

رابعاً: وينهى أيضاً عن أعياد الكفار لاعتبارات كثيرة منها:

- أن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم وانشراح صدورهم بما هم عليه من الباطل.

- والمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة من العقائد الفاسدة على وجه المشارقة والتدرج الخفي.

- ومن أعظم المفاسد - أيضاً - الحاصلة من ذلك: أن مشابهة الكفار في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾. وقال سبحانه: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾. الآية.

خامساً: بناء على ما تقدم فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً أن يقيم احتفالات لأعياد لا أصل لها في دين الإسلام ومنها الألفية المزعومة، ولا يجوز أيضاً حضورها ولا المشاركة فيها ولا الإعانة عليها بأي شيء كان، لأنها

إثم ومجاوزة لحدود الله والله تعالى يقول: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

سادساً: لا يجوز لمسلم التعاون مع الكفار بأي وجه من وجوه التعاون في أعيادهم ومن ذلك: إشهار أعيادهم وإعلانها، ومنها الألفية المذكورة ولا الدعوة إليها بأية وسيلة سواء كانت الدعوة عن طريق وسائل الإعلام، أو نصب الساعات واللوحات الرقمية، أو صناعة الملابس والأغراض التذكارية، أو طبع البطاقات أو الكراسات المدرسية، أو عمل التخفيضات التجارية والجوائز المادية من أجلها أو الأنشطة الرياضية أو نشر شعار خاص بها.

سابعاً: لا يجوز لمسلم اعتبار أعياد الكفار ومنها الألفية المذكورة ونحوها مناسبات سعيدة وأوقاتاً مباركة فتعطل فيها الأعمال وتجرى فيها عقود الزواج أو ابتداء الأعمال التجارية أو افتتاح المشاريع وغيرها، ولا يجوز أن يعتقد في هذه الأيام ميزة على غيرها، لأن هذه الأيام كغيرهامن الأيام ولأن هذا من الاعتقاد الفاسد الذي لا يغير من حقيقتها شيئاً، بل إن هذا الاعتقاد فيها هو إثم على إثم، نسأل الله العافية والسلامة.

ثامناً: لا يجوز لمسلم التهنئة بأعياد الكفار، لأن ذلك نوع رضى بما هم عليه من الباطل وإدخال للسرور عليهم، قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس

وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنَّأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه). اهـ.

تاسعاً: شرف للمسلمين التزامهم بتاريخ هجرة نبيهم محمد ﷺ الذي أجمع عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأرّخوا به بدون احتفال وتوارثه المسلمون من بعدهم منذ أربعة عشر قرناً إلى يومنا هذا، لذا فلا يجوز لمسلم التولي عن التاريخ الهجري والأخذ بغيره من تواريخ أمم الأرض كالتاريخ الميلادي فإنه من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

هذا ونوصي جميع إخواننا المسلمين بتقوى الله حق التقوى وبالعمل بطاعته والبعد عن معاصيه، والتواصي بذلك والصبر عليه.

وليجتهد كل مؤمن ناصح لنفسه حريص على نجاتها من غضب الله ولعنته في الدنيا والآخرة في تحقيق العلم والإيمان وليتخذ الله هادياً ونصيراً وحاكماً ووليا، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وكفى بربك هادياً ونصيراً وليدع بدعاء النبي ﷺ: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عبدالله بن عبدالرحمن الغديان — عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

بكر بن عبدالله أبو زيد — صالح بن فوزان الفوزان

المراجع

١ ـ أجنحة المكر الثلاثة : د. عبدالرحمن حسن حبنكه .
٢ ـ التبشير والاستشراق : محمد عزت .
٣ ـ الغزو الفكري : د. علي عبدالحليم محمود وزملائه .
٤ ـ التبشير والاستعمار : د. مصطفى خالدي ، د. عمر فروخ .
٥ ـ الاستشراق والمستشرقون : د. مصطفى السباعي .
٦ ـ الإسلام في أندونيسيا ، محمد ضياء شهاب .
٧ ـ لمحات في الثقافة الإسلامية : عمر عودة الخطيب .
٨ ـ حقائق عن التبشير : عماد شرف .
٩ ـ حصوننا مهددة من داخلها : د. محمد محمد حسين .
١٠ ـ معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير .
١١ ـ الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر : أحمد عبدالغفور عطار .

الفهرس

الموضوع | الصفحة